عالَم الغيب والشهادة

(رأي وتفسير)

تأليف
عثمان المفتي

الدار العربية للموسوعات

عالم
الغيب والشهادة
(رأي وتفسير)

اسم الكتاب: عالَمُ الغَيبِ وَالشَّهادَةِ (رأيٌ وتفسير)

تأليف : عثمان المفتي

الطبعة الثانية: ٢٠١٣م - ١٤٣٤هـ

ISBN 978-614-424-048-9



الدار العربية للموسوعات

المدير العام: خالد العاني

الحازمية - مفرق جسر الباشا - ستر عكاوي - ط١ - بيروت - لبنان
ص.ب: ٥١١ الحازمية - هاتف: ٩٥٢٥٩٤ ٥ ٠٠٩٦١ - فاكس: ٤٥٩٩٨٢ ٥ ٠٠٩٦١
هاتف نقال: ٣٨٨٣٦٣ ٣ ٠٠٩٦١ - ٥٢٥٠٦٦ ٣ ٠٠٩٦١
الموقع الإلكتروني: www.arabenchouse.com البريد الإلكتروني: info@arabenchouse.com

عالم
الغيب والشهادة

(رأي وتفسير)

تأليف
عثمان المفتي

الدار العربية للموسوعات
بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الحاقة ٢٨- ٢٩]

صدق الله العظيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين. هدانا إلى الصراط المستقيم وعلمنا علماً من لدن عليم حكيم. وبعد: فقد قرأت كتباً عن الكون لعلماء متخصّصين ومنها كتاب: **(الكون العميق)**[١].

وكنت أعيش بكل كياني مع سطوره لحظة بلحظة ومع كل كلمة كان العلم يمتزج بالإيمان الذي في الصدور. وتتوالى في فكري آيات الذكر الحكيم ليشد توغل الكتاب في عوالم مجهولة وليسلّط عليه النور الرباني. وكان لا بد لهذه الرؤية أن تخرج بشيء جديد. بل إن هذا الكتاب لن يكتمل معناه إذا لم يوضع تحت نور كلمات القرآن الكريم. . ولن يستريح عالم في هذه الأرض من عناء التفكير العلمي المجرّد الذي يقف حتماً وأبداً عند آخر معادلة علمية وآخر استنتاج

(١) الكون العميق - الدكتور علي الأمير، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٥.

رياضي. . وآخر استقراء إذا قرأ مجرّداً من الإيمان. . فالفكر العلمي المجرّد يقف عند عبارة من عبارات الكتاب الكثيرة المبهمة. مثل: (إن الكون وجد فجأة نتيجة لانتقال فجائي من وجود آخر).

نعم، يتوقف العلم ليستسلم. . وبذا يكون أجهل الجاهلين وحسب التفكير التسلسلي المنطقي لا بد من السؤال: وما هو هذا الوجود الآخر. . ؟

هذا الوجود الآخر خاص بالمؤمنين أهل القرآن الكريم. . وأردت أن لا يذهب هذا التحليق العلمي الإيماني سدى. . وتوكلت على الله المهيمن العزيز أن أسبر أغوار الكون الإيماني. . بعدما سبره الكتاب في الكون العلمي الذي يقف عند لحظة. . والكون الإيماني يبدأ من تلك اللحظة. . ولم يصبني عجز أو وهن ولم أبذل جهداً يذكر. .

فحلقات الفكر العلمي المجرّد كانت واضحة. . يقابلها ويرادفها حلقات الفكر الإيماني اللامتناهي. . وربطت تلك الحلقات بما اعتقدته صحيحاً.

فإذا وجد القارئ الكريم ملاحظة ما أو زللاً. . فسبحان الذي لا يسهو. . وكان هذا ما ذهبت إليه وأكملته في ثلاثة أيام متتاليات.

فعسى أن تكون هذه الوريقات شيئاً مفيداً وإضافة جديدة لآفاق الثقافة الدينية العلمية. .

والله المستعان. . وعليه التكلان. .

والحمدلله في أول الأمر وآخر الأوان.

عثمان المفتي

الفصل الأول

عالم الغيب والشهادة

مدخل: نقول عالِم الغيب والشهادة بكسر حرف اللام في كلمة (عالم)، ونعني به الخالق جل وعلا. ولغة هو اسم الفاعل. ومعناه المطلع على عالمي الغيب والشهادة. وعندما نلفظ كلمة عالم بفتح حرف اللام في (عالَم) نعني به عالم الغيب وما فيه ومن فيه ومجرياته وأحداثه ونشأته.

والشهادة: نعني بها كل ما هو موجود مادي محسوس بالحواس الخمسة أو بالوسائل العلمية.. إذ هما عالما الوجود والغيب.. أو العالم المنظور والعالم اللامنظور.. وقد حسم القرآن الكريم تفسيره لهذين العالمين فقال عز من قائل: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ **[الحاقة ٣٨- ٣٩]**.

فعالم الغيب: هو العالم الذي لا نبصره ولا نطلع عليه.

وعالم الشهادة: هو العالم الذي نبصره وندركه ونحن مطلعون عليه. وكلاهما مخلوقان من مخلوقات الله...

وعالم الشهادة: هو دنيانا وما نشاهده بأعيننا أو بالوسائل التي اخترعها الإنسان.. من أصغر شيء تحت المجهر سواء كانت خليّة

حيّة. . أو ذرّة. أو ما تصل أيدينا من صور تبثّها مركبات الفضاء التي تسبر أغوار الكون العميق العجيب. . وعالم الغيب محيط بعالم الشهادة كإحاطة الغلاف الجوي بالأرض. . وليس محيطاً به فقط بل متسرّب فيه. . متغلغل في كل شيء وموجود وملازم معه. . ولا يفارقه مطلقاً وأبداً بل أن عالم الغيب مهيمن على عالم الشهادة. . وعلى كل شيء فيه.

- وعالم الشهادة قائم بعالم الغيب.
- وعالم الغيب قائم بنفسه. .
- وكلاهما وعوالم أخرى غيرهما لا يعلمها إلّا الله. . قائمان بالخالق العزيز المقتدر الجبّار. لكن المقارنة هنا بين عالمي الغيب والشهادة فقط.

  ونستطيع أن نقول تأسيساً على ذلك بأن:
- عالم الغيب: جوهر. .
- وعالم الشهادة: عرض. .

وذلك إذا أخذنا بنظر الاعتبار تعريف علماء المنطق والكلام للجوهر والعرض. فالجوهر هو كل شيء قائم بنفسه. . والعرض. . هو كل شيء قائم بغيره.

- ولا وجود لعالم الشهادة بدون عالم الغيب. .
- ودائماً وأبداً فإن عالم الغيب سابق لعالم الشهادة. .
- ولهذا قيل: عالم الغيب والشهادة. . حيث سبقت كلمة الغيب. . كلمة الشهادة. . ولا يمكن العكس مطلقاً. . إلّا بالموت، فبه يعود الإنسان إلى عالم الغيب من عالم الشهادة.

- ولا يمكن لعالم الشهادة أن يفلت من قبضة عالم الغيب أبداً.. وكل ما يجري في عالم الشهادة من صوت وصورة وأبعاد وأشكال.. وخلجات نفس ومشاعر وظنون.. وأفكار ونوايا وحب وكره.. وأرقام وحوادث وأسرار في الليل أو النهار.. كل ذلك وغيرها ينقل فوراً إلى عالم الغيب ويحفظ ويثبت في (مكان) ما و(بطريقة) ما.. وجزافاً أقول مكان.. حيث إننا ليست لدينا مفردات لأشياء لا نعرفها. لكننا نقربها إلى أقرب مفردة لغوية في متداولنا..
- فجميع البشر تحت مراقبة إلهية شديدة وغاية في الدقّة والأمانة وفي منتهى الصرامة والدوام.. وبالعدل والحق.
- والإنسان حوله مجموعة هائلة من وسائل دقيقة للغاية تسجل الصوت والصورة والمشاعر.. وتقوم بهذه الواجبات مجموعات من ملائكة الرحمن تتولى هذا الأمر من عالم الغيب.. وتلازم الإنسان وتراقبه وتسجل عليه.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الانفطار ١٠- ١١].

وعالم الغيب مليء بالمخلوقات.. من ملائكة وجن.. عناصر خير وشر.. فمن هذه المخلوقات ما هو خير مثل الملائكة الكرام وتضج بهم السماء لامتلائها بهم(١).. ومنها ما هو شر مثل بعض الجن. فمن الجن أعداد.. ومن الملائكة أعداد.. والملائكة

(١) جاء في الحديث الشريف: أطت السماء، وحق لها أن تئِطّ، والذي نفس محمد بيده ما فيها موضع شبر إلّا فيه جبهة ملكٍ ساجد يسبح الله بحمده. (حديث رقم ١٠٩٧، ص٧١، الجامع الصغير، للإمام السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨١.

جميعها خير.. مأمورة من ربها.. أما بعض الجن والشياطين فإنها تعبث بالبشر وتريد له السوء.. أما لماذا تريد له السوء..؟ فهذا له مجال بحث آخر. لكن قد يكون من المفيد أن نوجز شيئاً في ذلك فنقول: إن كل ما كان وما سيكون على مستوى الإنسان والأمم ثم على مستوى المجموعة الشمسية والمجرّات والسماوات كلها في علم الله جلّت قدرته وعظمته وقد جاء في الحديث الشريف: (قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرضين بخمسين ألف سنة) حديث صحيح رواه أحمد في مسنده عن ابن عمرو[1].. وإن المخلوقات الشريرة تعبث بالإنسان وتريد له السوء في سلوكه وعاقبته حيث ورد في الحديث الشريف:

(إن للشيطان لمة بابن آدم، وللملك لمة. فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله تعالى فليحمد الله. ومن وجد الأخرى فليتعوّذ بالله من الشيطان).

حديث صحيح رواه الترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه عن ابن مسعود[2]..

لأن هذا الإنسان أو هذا الـ(بني آدم).. قد كرّمه الله وفضّله على كثير من خلقه:

﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠﴾ [الإسراء ٧٠].

---

(١) حديث رقم (٦١٠٥) الجامع الصغير.

(٢) حديث رقم (٢٢٤٨) الجامع الصغير.

وجعله سبحانه وتعالى خليفته في الأرض:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة ٣٠].

وذلك لسر اختص به هو سبحانه. حتى إذا أبى إبليس أن يسجد لهذا المخلوق الذي خلقه الله وأمر الملائكة أن يسجدوا له أبى ذلك... وقال:

﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف ١٢].

ودعا الشيطان ربّه أن (يُنظره) لكي يغوي هذا (الخليفة) في الأرض. وليثبت الشيطان رأيه في بني آدم فهو معه.. هو وجنوده.. يغريه بعمل السوء ويمنعه من عمل الخير.. حتى الأنبياء حاول الشيطان أن يمسّهم بسوء إلّا أنهم كانوا تحت حماية الله وعنايته:

وإذا العناية لاحظتك عيونها نم فالحوادث كلهن أمان

والشيطان يمنعك من قراءة القرآن الحكيم ولهذا قال سبحانه:

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل: ٩٨].

ومحاولات الشيطان مع الأنبياء والرسل كانت شديدة ومستمرة، لكنه لم يستطع النيل منهم لأنهم معصومون.. إلّا بما شاء الله فتأمل الآية الكريمة:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام ١١٢].

ولهذا أمر رب العالمين نبيّه المصطفى ﷺ والمؤمنين أن يقولوا:

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾﴾ [المؤمنون ٩٧].

ولنضرب أمثلة على ذلك:

- أنسى الشيطان فتى النبي موسى عليه السلام أن يأخذ معه الحوت: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الكهف ٦٣].
- وهذا سيدنا أيوب عليه السلام مسّه الشيطان بنصب وعذاب فاقرأ معي: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾ [ص٤١].
- وقبل هذا وذاك ألم يزل الشيطان أبوي البشر وهما في الجنة: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البقرة ٣٦].
- والخوف كل الخوف على البشر يأتي من عبث الشياطين.

فبعدما نذرت امرأة عمران ما في بطنها لربها قالت: ﴿رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ * فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾ [آل عمران ٣٦-٣٧].

وكل حسنة من عند الله... وكل سيئة من النفس الأمارة بالسوء.. والشيطان من خلق الله وهو يمثّل الشر المطلق.. والله القوي العزيز كتب على نفسه الرحمة قبل بدء الخلق:

﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام ١٢].

وفائق القدرة على الخلق هو أن الله سبحانه يخلق كل شيء ويخلق نقيضه والشيطان هو نقيض كل خير ورحمة.. وتعامله التام مع تردّد موجة النفس البشرية.. تلك النفس التي ألهمها الله سبحانه وتعالى فجورها وتقواها:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس ٧-١٠].

ولو لم يكن الشيطان مخلوقاً في الوجود لانتفت الحاجة إلى تهذيب النفس وإجبارها على الطاعة. ففي وجوده منتهى الحكمة الإلهية ليبلونا أينا أحسن علماً. فاقرأ معي:

﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزخرف ٦٢].

﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ﴾ [الحشر ١٦].

تلك النفس التي يتناغم قسم كبير من موجات استقبالها مع تردد بث الشياطين ليستلمها ويأتمر بها وما التقوى والعبادات والإيمان والطاعات إلّا وسائل لغلق تلك التردّدات واحدة بعد الأخرى حتى تغلق جميعها ويكون القلب خالياً إلّا من الله سبحانه وبذلك يتفرّغ القلب لاستقبال الإلهام الإلهي الذي كلّه خير.. وفي هذا المقام يوجد لكبار علماء التصوّف عبارة شهيرة حيث يقولون (التخلية ثم التحلية) وكما ترى فهذا جناس تام وبلاغة عالية. والمعنى أن يكون قلبك خالياً من كل سوء أولاً ثم يحل محله ذكر الله وحبّه والالتزام بأوامره والنهي عن نواهيه[١] ودائماً يأتي النفي قبل الإثبات فنقول: لا إله إلّا الله محمد رسول الله وهنا يردني أقوال علماء اللغة العربية الذين ردّوا على كتاب الدكتور مصطفى جواد والموسوم بـ (قل ولا تقل). فقالوا بأنه كان يجب أن يكون العنوان لا تقل وقل.

والملائكة الكرام ما لها نفس كالبشر. لذا لا سلطان للشيطان عليها أبداً. ونستعيذ بالله من الشيطان الرجيم.

---

(١) كتاب السعادة الأبدية في الطريقة النقشبندية، للشيخ أحمد الأقرع المصري طبع مطبعة القاهرة ١٩٤٧.

الفصل الثاني

العلاقة بين عالمي الغيب والشهادة

وبعد أن استنتجنا بعض الأمور عن عالمي الغيب والشهادة نكتبها الآن في عبارات وهي:

١• إن كل ما يجري في عالم الشهادة ينقل ويثبت فوراً في عالم الغيب: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ **[هود ١٢٣]**.

٢• كل ما يجري في عالم الشهادة معروف في عالم الغيب: ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾ **[النجم ٣٥]**.

٣• ليس كل ما يجري في عالم الغيب أو أي شيء منه معروفاً في عالم الشهادة: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ **[الأعراف ١٨٨]**.

٤• لا يمكن لكائن ما في عالم الشهادة أن يطلع على شيء من عالم الغيب. إلّا من ارتضى من رسول. ولو اجتمع البشر بجميع مخترعاتهم لمعرفة أصغر شيء في عالم الغيب لما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً: ﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ **[الاسراء ٨٨]**.

● ٥ لكائنات عالم الغيب قابلية التدخل في حياة البشر بإذنه تعالى. سواء من الملائكة الكرام أو من الجن والشياطين. . وكل ذلك بعد أن يشاء الله تعالى ولهذا دعانا أن نستعيذ به سبحانه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس].

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق].

● ٦ إن كائنات عالم الشهادة مطلعة على عالمها فقط: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ [آل عمران ١٧٩].

● ٧ إن كائنات عالم الغيب مطلعة على علامها وعلى عالم الشهادة. فالجن يرون بعضهم البعض ويرون مخلوقات عالم الشهادة كما تدل على ذلك الآية الكريمة: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف ٢٧].

● ٨ إن الله سبحانه وتعالى مهيمن على عالمي الغيب والشهادة وكل ما في الوجود .﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩﴾ [الرعد ٩].

والآن أما آن الأوال لنسأل: **هل اطلع أحد على الغيب؟**

هل من أحد من البشر أطلع على عالم الغيب. . ؟ ومتى كان ذلك ومن له حق هذا التكريم العظيم ليسأل ربه هذا السؤال ليطلعه على بعض من غيبه فنقول: إن الرسل والأنبياء الكرام قد سألوا هذا السؤال.

فهذا سيدنا موسى عليه السلام يسأل ربه: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف ١٤٢].

وهذا أقصى ما سأل نبي ربه.. فهو قد سأل ربه ما بعد عالم الغيب.. سأله أن يراه.. وكيف يمكن لمخلوق في عالم الشهادة أن يلج إلى عالم الغيب بكيانه المادي وأدوات هذا الكيان المحدود والمخلوق لملائمة عالمه المادي وكيف يمكن لإنسان أن يقف على سطح الشمس مثلاً.. والأمثال تضرب ولا تقاس.. ولهذا أجابه رب العالمين: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف ١٤٣].

وكذلك نبينا الكريم محمد ﷺ عرج به سبحانه إلى ملكوته بعدما تمّ تغيير كيانه المادي فقد جاء في كتب السيرة النبوية الشريفة(١) أن الملائكة الكرام شقّوا صدره الشريف وأخرجوا منه ما شاءوا ووضعوا فيه ما شاءوا قبل المعراج.. فعرج به عليه الصلاة والسلام واخترق السماوات السبع: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ [النجم ٨-٩].

فقد عرج به تلك الليلة السموات السبع ثم رفع إلى سدرة المنتهى، ثم رفع له البيت المعمور ثم دنا منه الجبّار جلّ جلاله حتى كان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى(٢).

وبما أن عالم الغيب فيه ما حدث وما سيحدث فقد كان الرسول الأمين ﷺ مطلعًا على الكثير من موجودات الغيب بإذن ربه تعالى..

---

(١) الرحيق المختوم، الشيخ صفي الرحمن المباركفوري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩١، ص١٢٦.

(٢) المصدر السابق، ص١٢٥.

ويعرف ما ستصير إليه الأمور من فتن وفساد وسوء. ولهذا قال عليه الصلاة والسلام:

(لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً. ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى لا تدرون تنجون أو لا تنجون).

[رواه الطبراني والحاكم والبيهقي، عن أبي الدرداء][1].

كذلك جاء في الحديث الشريف:

(أُريت ما تلقى أمتي من بعدي، وسفك بعضهم دماء بعض وكان ذلك سابقاً من الله كما سبق في الأمم قبلهم فسألته أن يوليني شفاعة فيهم يوم القيامة ففعل).

[لأحمد في مسنده والطبراني في الأوسط والحاكم في مسنده][2].

وما أحاديثه الشريفة عن أشراط الساعة وما معجزاته إلّا لاطلاعه على ما قدّره الله له من اطلاع لعالم الغيب وكذلك الأنبياء والرسل السابقون أطلعهم الخالق جل وعلا على ما شاء من أمور من عالم الغيب.. فاقرأ معي:

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [آل عمران: ٤٤].

ولو أن هذا إخبار بالماضي إلّا أنه يعتبر من الغيب كونه مثبتاً وموثقاً في عالم الغيب بدقة متناهية كما هو أمر كل شيء في الوجود.

وانقطعت الإطلالات على عالم الغيب بعدما ذهب الرسول الأمين ﷺ إلى الرفيق الأعلى. ولهذا بكى أحد الصحابة الكرام بكاءً

(١) الحديث رقم ٧٤٢٨، الجامع الصغير.

(٢) حديث رقم ٩٥٨، الجامع الصغير.

شديداً كباقي الصحابة الكرام فقيل له تخفيفاً لآلامه: أما قرأت الآية الكريمة:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ [آل عمران ١٤٤].

فأجابهم الصحابي: أنا أعلم بهذا.. ولكنني أبكي لأنه قد انقطع خبر السماء..!

نعم انقطع خبر السماء.. انقطع الاتصال المباشر.. والجواب المباشر بوسطة الروح الأمين سيدنا جبريل عليه السلام.. ينزل على خير البشر بوحي الرسالة والكتاب المبين وليعلمه الشرائع وليطلعه على ما يسأل. وذلك بإذن الله سبحانه وتعالى فمن يا ترى بعد النبي الكريم محمد ﷺ خاتم الأنبياء وسيد المرسلين وخير خلق الله أجمعين، له هذه الصفة والصلاحية..؟

انتهى خبر السماء.. لكن بعض المفسرين فسّروا الآية الكريمة:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت ٣٠].

فإن هذه الآية ليست للأنبياء والمرسلين.. بل لعباد الله الصالحين[١].

وفي رأيي فإن الرؤيا الصالحة واستخارة المؤمن والإلهام الذي يقع في قلبه وكرامات الأوليات هي بقايا وآثار تلك المزية. وجميعها حق لا يمكن إنكاره وثابت بنص الآية الشريفة:

---

(١) صفوة التفاسير، العلامة محمد علي الصابوني، دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠٠م. القرآن الكريم، تلاوته ومعانيه للصف الأول المتوسط، وزارة التربية العراقية، ١٩٩٤م.

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [يونس ٦٢- ٦٤].

وما دامت البشرى في الحياة الدنيا فلا بد من وسيلة لتبليغها. وهذه الوسائل وأسلوب ونوعية التبليغ يكون بتلقي البشرى سواء في النفس أو القلب، أو العقل..

ومهما كان فلا بد من وجود شيء ما بتلقي هذه البشرى[1]. ومفتاح تشغيل هذا الشيء وتهيأته لاستقبال البشرى هو القلب.. ولكن أي قلب..؟ القلب الحاضر لتلقي هذه الإشارات.. وكيف يكون القلب حاضراً..؟ يكون القلب حاضراً بالإيمان والصلاح والذكر والتسبيح والاستغفار والتوبة و.. و.. و.. إلخ. فأمثال هؤلاء تكون قلوبهم محطات استقبال مرشحة لتلقي البشارات وليست بشرى واحدة. ويكونون مهيئين لاستقبال الإلهام الإلهي بوسيلة ما من تلك الوسائل، أو بوسائل أخرى لا علم لنا بها وكل ذلك بعد أن يشاء الله سبحانه وتعالى. وفي اصطلاحات الصوفية يوجد مصطلح القلب الصنوبري وهو القلب الذي يضخ الدم ويقوم بواجباته يرادفه قلب معنوي غير مادي.. وهو المقصود هنا من كلمة (القلب).. هذا القلب هو الذي يتلقى الإشارات الإلهية والإلهام الرباني. وهذا القلب هو مستقر الإيمان والنوايا.. أي هو مستقر كل شيء معنوي.

---

(١) ورغم أن المفسرين يقولون بأن الملائكة تنزل ساعة الاحتضار إلّا أن آية ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ تنفي ذلك، فإذا كانت الملائكة تحضر عند انتهاء الحياة في لحظة الموت فقد انتفت الحاجة للبشرى في الحياة الدنيا.

- **مقارنة بين عالم الغيب وعالم الشهادة:**

هذان العالمان، مختلفا التكوين والتاريخ والقوانين التي تتحكم فيهما، وبذلك نقول:

- إن عالم الغيب سبق عالم المادة.
- يمكن إخراج أو قدوم مخلوقات من عالم الغيب إلى عالم المادة، فيمكن أن يتحوّل مخلوق مثل الجن الذي هو في عالم الغيب ويتجسم في عالم المادة. لكن يجب أن يتشكل بشكل آخر ولا يمكن إطلاقاً أن يأتي بشكله الأصلي من عالم الغيب إلى عالم المادة ولهذا نجد وصف الجن كما يلي:

الجن: أجسام لطيفة تتشكل بأشكال مختلفة.

كأن يظهر على شكل حيّة. يقول الرسوم الكريم محمد ﷺ:

* **الجن ثلاثة أصناف:** فصنف لهم أجنحة يطيرون بها في الهواء، وصنف حيّات وكلاب وصنف يحلون ويظعنون [حديث صحيح رواه الطبراني والبيهقي والحاكم في مستدركه عن أبي ثعلبة الخشني][1].

وجاء في حديث شريف آخر:

(لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها كلها، فاقتلوا منها الأسود البهيم).

[حديث صحيح رواه أبو داود والترمذي عن عبدالله بن مغفل][2].

---

(١) حديث رقم ٣٦٥١ الجامع الصغير. وكلمتي يحلون ويظعنون بمعنى أنهم مثل الغجر يرتحلون ويقيمون.

(٢) حديث رقم ٧٥١٤، الجامع الصغير.

وقد وصف القرآن الكريم الجن كما يلي:

﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف ٢٧].

وعلى هذا الأساس يقول أصحاب المذاهب والفقهاء بأن كل من قال بأنه رأى الجن فهو كاذب ويجب أن لا تقبل شهادته. إذن فنحن البشر تحت أنظار الجن بالتفصيل.. (إنه يراكم هو وقبيله). وهم محجوبون عنا.. مستورون منا. ولا يمكن لحواسنا أن تُحيط بهم. وهنا لا أريد الإفاضة بالحديث عن الجن فهذا موضوع مفصّل فليراجعه من يريد.

ولكن: ما هي الصلة التي يشترك فيها مخلوقات عالم الغيب وعالم الشهادة..؟ سؤال مهمّ.. وللجواب أقول.. توجد صفات مشتركة لمخلوقات كلا العالمين وهذه الصفات هي:

١- أن أيًّا من مخلوقات عالم الغيب ومخلوقات عالم الشهادة كلاهما لا يعرفان الغيب. فلا الجن ولا الإنس ولا الملائكة الكرام ولا الملائكة المقرّبون، ولا أي مخلوق من مخلوقات الله في أي عالم كان.. لا يمكن أن يعرف الغيب.. أو يعرف ما هو كائن بعد لحظة واحدة[1]. فإن الجن الذي كان مسخراً لسيدنا سليمان عليه السلام لم تعلم بموته إلّا بعد حين. فاقرأ معي:

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ [سبأ ١٤].

---

(١) حتى أن سيدنا إسرافيل وهو الملك المكلف بنفخ الصور عندما تحين الساعة قد وضع الصور متهيأ للنفخ، ولم يغمض له جفن منذ أن خلق وعينه معلّقة عى العرش فلا يدري في أية لحظة يأمره الجبّار أن ينفخ في الصور - كما جاء في الحديث النبوي الشريف.

.. ولكن كلامنا هذا لا ينفي بأن الله ﷻ يوحي لبعض عباده إذا شاء وبما شاء..

فقد كشف سبحانه وتعالى بعض ما يقع من أحداث للعبد الصالح الذي استصحبه معه سيدنا موسى عليه السلام..

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝٦٥﴾ [الكهف ٦٥].

وسخر الريح والعفاريت من الجن لسيدنا سليمان عليه السلام..

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ۝٨١ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ۝٨٢﴾ [الأنبياء ٨١- ٨٢].

واطلع رسوله الكريم ﷺ على ما يكون عليه الناس يوم الحشر. واطلعه على أسرار من عالم الغيب في الاسراء والمعراج.

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾ [الاسراء ١].

وعند الحديث عن الاسراء والمعراج نقرأ في آياته:

﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧﴾.. أي أن البصر لم يكن فيه قصر نظر ولا بُعد نظر ولا انحراف بل الرؤية كانت حقًّا. وقد صدَق الفؤاد ما رأى. فاقرأ معي:

﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾ [النجم ١٣- ١٨].

والصفة الأخرى المشتركة بين عالم الغيب والشهادة هي:

إن كلا العالمين مرتبطان ببعضهما ارتباطاً وثيقاً جدًّا بخلاف ما قد يظنّه البعض. فلولا عالم الشهادة ما كان عالم الغيب غيباً.. ثم يكون غيباً عن من..؟

إذن هو غيب عن عالم الشهادة.. وعالم الشهادة.. مشهود لمن..؟ فلو كان عالم الشهادة لوحده لما كان هناك من داع لأن يسمى بالشهادة فهو مشاهد بذاته لذاته..

ولتوضيح ذلك نورد بعض الأمثلة:

مثال: إن السمكة التي تعيش في أعماق المحيطات. هل لها علم وتصوّر عن عالمنا ودنيانا.. أم أن أقصى معرفتها أنها تظن الدنيا أو (الجو) أو (العالم الذي تعيش فيه) كلها (ماء) دائماً وأبداً وفي كل مكان..! وتظن بأن (كون)ها المائي ظلمات في ظلمات فهل تدري بوجود الشمس والقمر والنجوم؟ إن عالم السمكة المائي في الظلمات تحت قيعان المحيطات هي كونها.. وعالمها.. ودنياها.. ومنتهى تصوّرها ومعرفتها..! فلو أخرجنا السمكة من قاع المحيط إلى خارج الماء ولو كان لها عقل تدرك به.. أفلا تظن بأن هذا الهواء وهذا الضياء وهذه اليابسة هي العالم الآخر بالنسبة لها؟.. وأن هذا العالم الجديد هو كل شيء.. ثم هل تدرك هذه السمكة بأن بعد عالمها (المائي) يوجد عالم (هوائي) وبعد هذا العالم (الهوائي) توجد عوالم أخرى لا يعلمها إلّا الله سبحانه ونحن البشر كمثل هذه السمكة نظن عالمنا الذي ندركه بأنه كل شيء.. والحقيقة غير ذلك تماماً..

فجميع الكائنات في عالم الشهادة تظن بأن عالمها هو كل شيء.. وهل تدرك الدودة التي تحت الأرض بعالم ما فوق الأرض؟ وهل تدرك البكتريا في ظلمات أي مكان بأن عالمها هو أتفه من أن يذكر.. ونحن البشر لا نختلف عن تلك المخلوقات والكائنات ونظن بأن عالمنا الذي ندركه هو نهائي وأنه كل شيء.. ولهذا منح الله سبحانه وتعالى العقل لبني البشر وأرسل الرسل ليخبرهم بما هو كائن خارج عالمهم المادي. وواجب العقل والخيال هو البحث كالرادار عمّا هو خارج عالم المادة. ومن المحال أن يستحصل هذا العلم إلّا في مدرسة الإسلام التي منهجها كتاب الله العزيز القرآن الكريم. وآلة البحث هو القلب المطمئن بالإيمان والمعزّز بالعلم.

الفصل الثالث

الصلة بين الكون وعالمي الغيب والشهادة

● **الانفجار المدوي في الكون:**

قدّر العلماء الأقدمون عدد النجوم في السماء بخمسة آلاف نجمة. وتصوّروا الكون محدوداً.. ولم ينطلق خيالهم لأبعد من ذلك. ولإيجاد مخرج لمقولاتهم وطروحاتهم.. اخترعوا عبارة لوصف الوجود خارج تلك الحدود فقالوا بأنه عالم خالٍ من أي شيء.. أي غير مملوء بشيء ولهم في هذا عبارتهم الشهيرة: (خلا لا ملا) وكان هذا التصوّر هو أقصى ما وصلت إليه وسائلهم المادية وتطوّرهم الفكري.

ثم جاء غاليلو واستخدم منظاره الذي بلغ قطره ستة سنتمترات فقال بأن السماء تحتوي على نصف مليون نجمة.

بعد ذلك ظهر العالم الفذ الدكتور (هابل) فاخترق حجب الفضاء بمنظاره الذي بلغ قطره مترين فدفع حدود الكون المعروف للإنسان إلى (١٢,٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠) نجمة.

في سنة ١٩٤٨م خرج العلماء الأمريكان بمنظار قطر مرآته العاكسة خمسة أمار وقدّروا سعة الكون بحوالي (٥٠٠٠) سنة

ضوئية. بمعنى أنك إذا أطلقت إشعاع ضوء من مكانك بسرعته المعروفة (٣٠٠٠٠٠كم/ثا) فإن هذا الإشعاع سيصل إلى حافة الكون بعد (٥٠٠٠) سنة. فهذا الـ(٥٠٠٠) سنة ضوئية يعتبر نصف قطر دائرة الكون المكتشفة. والاكتشافات مستمرّة دائمًا وربما سيأتي يوم تكون فيه هذه الأرقام كلعب الأطفال. قرأت مؤخراً في كتاب أطلس الفلك المطبوع قبل سنوات ومن قبل علماء أمريكا بأنهم وصلوا إلى حدود الكون البالغ مسافته ثلاثين مليون سنة ضوئية. وأن هناك بعد ذلك مجرّات هائلة جدًّا تشكّل جدارًا. . لا بل توجد جدران رهيبة من المجرّات واحدة بعد الأخرى كذلك قالوا بأن هناك نجوماً كتلة ذرة تراب فيه أصغر من رأس الدبوس ومع ذلك تعادل ملايين الأطنان. .

وإن الكون في توسع هائل السرعة بقوة بحيث لا تستطيع قوة وطاقة جميع المجرات والنجوم في السماء إيقاف هذا التوسع أو إبطائه. وأن هذا التوسع مستمر بقدرة أعظم من الكون ذاته. وتوالت نظريات ونظريات عن نشوء الكون وبدئه. ويكاد الجميع يتفقون بأن الكون تولد من انفجار شمل الكون كله ويسمونه بـ(المدوي). وسأتوقف عند هذه النقطة وأسمّيها لحظة بدء الوجود المادي. فلنر إذن ماذا لدى العلم من معلومات عن الانفجار المدوي. . وماذا في القرآن الكريم. . ؟

فقد وردت آية غاية في الوضوح عن الانفجار المدوي الذي يتحدث عنه العلماء. اقرأ معي:

﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ **[الأنبياء ٣٠]**.

والفتق لغة هي: يقال فتق قرن الشمس أي بدا من بين السحاب[١] وفتق الثوب: نقض خياطته حتى فصل بعضه عن بعض والرتق كلمة معناها ضد الفتق. بمعنى أن السماوات والأرض كانت جميعها كتلة واحدة في عالم مخفي وخرجت إلى الوجود كما تخرج الشمس من بين السحاب.. وأعود للجملة الخطيرة التي أوردها العلماء عن نشوء الكون بقولهم: (بأن الكون حادث من انفجار مدوي من وجود آخر). فما قبل لحظة الانفجار المدوي كان الكون كله في عالم الغيب فأخرجه الله سبحانه وتعالى من الغيب إلى الشهادة. وفي الفصول التالية نبحث ذلك بإسهاب.

- **العلم وصلته بعالم الغيب والشهادة:**

قلنا إن عالم الغيب سبق عالم الشهادة. والله سبحانه وتعالى هو الأول والآخر وهو خالق كل شيء.. وطبعاً لا يوجد أول ولا آخر. فالله سبحانه موجود قبل الأول وباقي بعد الآخر.. فهذه كلمات في متداولنا وحسب قصور فهمنا. يقول الله تعالى في كتابه العزيز:

﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد ٣].

إلّا أن الخالق ﷻ موجود قبل الأول. بل قبل القبل وبعد البعد، فكان الله ولم يكن معه شيء.

بل أن كلمة (كان) من خلقه والوجود من خلقه واللغات من خلقه وكل شيء في الوجود الكلّي من خلقه سبحانه. اقرأ معي:

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان ٢٥].

ولا يوجد (زمن صفر) لوجود الله... حاشا لله...

---

(١) راجع قواميس اللغة العربية باب حرف الفاء وحرف الراء.

ولكن يوجد للوجود (زمن الصفر). . وهذا (الزمن الصفر) هو بدء الوجود في عالم الشهادة. .

يقول العلماء بأن الكون كله: بمجرّاته وشموسه وأقماره كانت كتلة واحدة ثم انفجرت ويسمّونه بـ(الانفجار المدوي) كما قلنا ولحظة الانفجار هذه هي التي تهمنا في بحثنا هذا. . وقبل البدء مع الانفجار المدوي. فلنلق نظرة على بعض المعلومات العلمية وهي:

١• تتحرّك الأرض حول نفسها كل (٢٤) ساعة.

٢• تتحرك الأرض حول الشمس بسرعة(٣٠كم/ ثا) لتكمل الدورة في (٣٦٥) يوماً.

٣• تتحرك المجموعة الشمسية كاملة بسرعة (٣٠٠كم/ ثا) داخل مجرة درب التبانة.

٤• تتحرك مجرة درب التبانة في الكون بسرعة (٦٠٠كم/ ثا). وتوجد آلاف المجرات التي تبدو أمامها مجرتنا كلعبة أطفال.

٥• تتحرك المجموعة الشمسية داخل مجرة درب التبانة لتكمل دورتها في (٣٠) مليون سنة.

٦• هذه المجرات جميعاً تتباعد في الكون اللانهائي بسرعة هائلة جدًّا. والآية التالية تدل على ذلك بوضوح شديد: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝٤٧﴾ [الذريات ٤٧].

٧• طول مجرة درب التبانة = ١٠٠,٠٠٠ سنة ضوئية. ويسمّيها البعض (درب اللبانة) وتسمى باللغة الكوردية (كاكيش).

٨• أقرب نجم إلى الأرض = ٤,٥ سنة ضوئية هي نجمة (ألفا قنطورس). (كل المجرات في الكون تتباعد إلى الخارج

بسرعات رهيبة). هذه هي الحقيقة المذهلة. وهذه كلها نتيجة انفجار هائل حدث في البداية. وقد كتب العلماء عن تلك اللحظات الحاسمة وما جرى لحظة الانفجار. . فماذا حدث. . . ؟

لقد حدث ما يلي:

- ١ الكون وجد فجأة بعد الانفجار المدوي في الفراغ.
- ٢ بعد (٠,٠١) ثانية من بدء الانفجار المدوي كانت درجة حرارة الكون الجديد الخلق تساوي مائة ألف مليون درجة. أي ما يعادل (١٠)^{١١} درجة مئوية.
- ٣ بعد مرور (٠,١١) ثانية أصبحت درجة حرارة الكون تساوي ثلاثين ألف مليون درجة مئوية.
- ٤ بعد مرور (١,٠٩) ثانية صارت درجة حرارة الكون المتفجر عشرة آلاف مليون درجة مئوية.
- ٥ بعد مرور (١٣,٨٢) ثانية أصبحت درجة الحرارة تساوي ثلاثة آلاف مليون درجة مئوية.
- ٦ بعد مرور (٣) دقائق وثانيتين صارت درجة الحرارة تساوي ألف مليون درجة مئوية.

وهكذا إلخ.

ولكي لا نتيه في متاهات الأرقام. . يبرز سؤال. . وهو: هل الانفجار حدث من كون ملتحم أم من فراغ. . ؟ أم هل كان وجوده وانفجاره في آن واحد، وفي اللحظة ذاتها. . ؟

وما الذي جعله يوجد..؟

وما الذي جعله ينفجر..؟

إلى هنا يقف العلم!

والعلماء أنفسهم يسألون السؤال ذاته: فهذا العالم الإنكليزي: فرد هويل يتساءل:

- هل الكون الذي ندركه هو كل شيء؟
- هل الكون الذي ندركه وجد فجأة من لا شيء؟

ويجيب بنفسه عن هذا السؤال فيقول: إن الكون الذي ندركه وجد نتيجة لانتقال فجائي من وجود آخر ونقف عند هذه المقولة.. وتحديداً عند لحظة الانتقال الفجائي من وجود آخر.

الوجود الذي سبق وجود الكون هو قدرة الله وقوته. وهو القوي العزيز. وهو في سرّه المكنون الذي لا تدركه الأبصار. ولا تحيط به العلوم. وكان هذا (الوجود) هو أصل (عالم الغيب) إذا جاز التعبير.

◆ وبدء عالم الشهادة

إذن هناك لحظة فاصلة بين عالم الغيب وميلاد عالم الشهادة.

نستطيع أن نقسمها إلى ثلاثة أقسام:

عالم الغيب ← لحظة الانفجار المدوي ← عالم الشهادة

وقد بدأ العد الزمني من لحظة الانفجار، أي لحظة ميلاد الوجود المادي ليبدأ تسلسل الأحداث الفيزيائية والكونية للسدم.. والمجرّات.. والنجوم.. والمجموعات النجمية... إلخ. ولو راجعت أي أطلس للفضاء أو الكون لوجدت بأن الكون يزخر بكل ما

هو عجيب وغريب[١].

والذي استخلصته مما سبق هو:

١- إن الانتقال الفجائي من الوجود الأول مروراً بلحظة الانفجار المدوي فولادة الكون الجديد. لا يمكن اعتباره انتقالاً من وجود مادي إلى وجود مادي آخر. فليس ذلك بانتقال. بل تحوّل حال إلى حال. ولا يمكن لعناصر ما قبل الانفجار أن تشبه عناصر ما بعد الانفجار وما يتبع ذلك من تأثير قوانين العلم.

فماذا كان الوجود قبل لحظة ميلاد الكون (العالم المادي).. إذ يمكن أن يكون الوجود قبل لحظة الانفجار المدوي (وجوداً ماديًّا) وفي اعتقادي أن الوجود الذي سبق لحظة الانفجار المدوي كانت طاقة أثرت فيها قوة أعظم.. أي أن الوجود قبل لحظة الانفجار المدوي لم يكن (ماديًّا) بل كان (طاقويًّا). أي كانت هناك الطاقة والقدرة الهائلة والقوة العظيمة. وهو الله القوي العزيز. لذا فإن: (تحوّل الطاقة إلى مادة هي من قدرة الله سبحانه).

أما عن البشر، فقد سخر الله لنا عكس ذلك فنحن نستطيع أن: (نحوّل المادة إلى طاقة بكل سهولة)[٢].

فمن الممكن طبعاً أن نحوّل المادة إلى طاقة كما في الانفجار النووي لاستخدامات الطاقة أو الاستخدام اليومي للوقود للتحول إلى حرارة أو حركة.. أو أي شيء آخر. وحتى الغذاء يعتبر مواد نحوّلها إلى حركة وطاقة وحرارة تستمر بها الحياة.

---

(١) راجع أطلس الفضاء. تأليف هيزر كوبر ونيجل هنبست. تعريب د. سيد رمضان هدارة - دار الشروق - القاهرة - ط١، ١٩٩٩م.

(٢) راجع أي كتاب عن النظرية النسبية الشهيرة للعالم الفذ أينشتين.

إذن نحن نستطيع أن نحوّل المادة إلى طاقة.. أما الذي يستطيع تحويل الطاقة إلى مادة أو أي شيء آخر فهو الله سبحانه. بل إن هذه (الطاقة) هي أيضاً من مخلوقاته وأوامره وقدرته. جلّت قدرته. و(القوي) اسم من أسماء الله الحسنى.. وفي أسمائه الحسنى جلت قدرته أجوبة للعلماء جميعاً.. وعن كل شيء. وقد وردت كلمة (قوي) و(القوي) (١٠) مرّات في القرآن الكريم نورد أدناه بعضاً منها:

- ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ [هود ٦٦].
- ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج ٤٠].
- ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾ [الشورى ١٩].
- ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد ٢٥].
- ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة ٢١].
- ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب ٢٥].
- ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الحج ٧٤].

كذا في سبع آيات كريمات اتبعت كلمة القوي بالعزيز..

وكيف تكون القوة بلا عزة وجبروت.

وقد وردت مفردات كلمة العزة والعزيز ومشتقاتها (١١١) مرة في القرآن الكريم منها (٩٢) مرة بلفظة (العزيز).

لكن الملاحظ أن كلمة (العزة) وردت (١٠) مرات وكذلك كلمة (القوي) وردت (١٠) مرات كذلك وما يجلب الانتباه في هذه الآيات الكريمات ما جاء في التسلسل (٣) أعلاه:

﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ١٩﴾ [الشورى ١٩].

فقد شملت الآية اللطف والقوة معاً. وكيف يجتمع نقيضان..؟ نعم.. فاللطف مع المؤمنين. والقوة مع أتباع الشياطين والكفار والظالمين.. والعبودية هي أقصى ما يناله مؤمن من جائزة فقد خاطب رب العالمين نبيه المصطفى ﷺ بـ (عبده):

﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾ [الاسراء ١].

ولم ترد كلمة (نبيه) أو (رسوله).. بل وردت كلمة (عبده).. لأن قبوله العبودية هو الخلاص والنجاة. وقد وردت كلمة (عبد) بمختلف صيغها ومشتقاتها وتركيباتا (٢٦٧) مرة في القرآن الكريم.

ومن المفيد أن نورد هنا قولاً لمولانا جلال الدين الرومي حيث يقول في كتابه الشهير (المثنوي): إن من شروط الشهادة أن يكون الشاهد حرًّا. ولن تقبل شهادة من عبد. فلا تكن عبد نفسك لأنه بذلك لن تقبل شهادتك أمام الله يوم القيامة. فكن عبداً لله تكن حرًّا.. فالعبودية لله والإخلاص له هي أقصى درجات التقرّب لله ﷻ. ولهذا فالله لطيف (بعباده).. نعم، بمن أقروا العبودية والإخلاص.

ولذا قال جلّ من قائل لعباده المؤمنين:

﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ٦٨﴾ [الزخرف ٤٣].

الفصل الرابع

عالم الغيب والأسماء الحسنى

والأسماء الحسنى فيها أسرار وأسرار.. وقد شرحها علماؤنا الأبرار.. ولو تأملناها بإمعان لوجدنا أنها شفاءٌ للصدور وأمانٌ للمذعور.. وهي هداية للحائرين وعفو للمذنبين وأمان للخائفين.. بل أنها ذكر للعاشقين الهائمين.. وقوت التواقين لليقين.. وعلوم للعالمين العاملين.. وقد جاء في الحديث الشريف:

(إن لله تسعة وتسعين اسماً.. مائة إلّا واحداً.. من أحصاها دخل الجنة)[1].

بمعنى من فهم معانيها وعمل بهدي تلك المعاني والتزم بشرائع الله.. دخل الجنة. وهذه الأسماء الحسنى قد أحصيناها كما وردت.. ويبقى السؤال: هل هذه هي الأسماء الحسنى جميعها.. أو هل هذا الرقم هو الرقم النهائي..؟ وأقول جازماً: كلا. فأسماء الله الحسنى لا نهاية لها.. غير أن هذا العدد من الأسماء الحسنى قد كرم الله سبحانه وتعالى بها بني البشر.. وهي تخص عالم الشهادة لنلهج بها في الذكر قلباً ولساناً.

---

(١) الحديث رقم ٢٣٥٤، الجامع الصغير.

﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الاسراء ١٧].

وتوجد أسماء مشتركة مع عالم الغيب . . فالملائكة الكرام:

﴿يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ﴾ [فصلت ٣٨].

والملائكة التي تملأ كل الكون مشغولون بالتسبيح . . لا بل النباتات والحيوانات والنجوم والجماد والأحجار والجبال إلخ جميها تسبح.

ولكن من المهم جدًّا أن تتأمل الآيات الكريمة التالية بإمعان وتأمل وإنصات بالقلب والسمع، فاقرأ معي:

- ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١﴾ [الحشر١].
- ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ﴾ [الإسراء ٤٤].
- ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ﴾ [الرعد ١٣].
- ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾ [الإسراء ٤٤].
- ﴿وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۖ﴾ [الزمر ٧٥].
- ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾ [آل عمران ٤١].
- ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٨٣﴾ [يس ٨٣].

فكل شيء يسبح لله . . حتى الإنسان الملحد الكافر - نعوذ بالله - يسبّح كل جزء من جسمه وشعر رأسه ونبض قلبه باسم الله الواحد الأحد فهو موحد بكل خلية في جسمه. لكنه منكر جاحد بنفسه الأمارة بالسوء. وذلك بنص الآية الكريمة:

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء ٤٤].

وما لنا هنا إلّا أن نردد الآية الكريمة:

﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة ٣١].

هذا وقد وردت كلمة (سبّح) ومشتقاتها (٨٦) مرة في القرآن الكريم. فكل شيء إذن يسبح باسمه.. حتى هذا القلم الذي أكتب به والمداد الذي ثبت على الورق وحروف الكلمات والورق المكتوب عليه. لكن الإنسان الذي حمل الأمانة كان ظلوماً جهولاً كثير الذنوب والمعاصي..

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب ٧٢].

وهذه الدنيا الفانية ماذا ترى من شأنها في ملكوت الله سبحانه. فاقرأ معي الحديث الشريف:

(إن الله تعالى لم يخلق خلقاً هو أبغض إليه من الدنيا وما نظر إليها منذ خلقها بغضاً لها)[١].

ورغم هذا فقد أراد سبحانه لأهل الأرض الخير أن بعث فيهم محمداً ﷺ رحمة للعالمين. والله سبحانه وتعالى يريد له الخير كل الخير وقد خصّص ملائكة كرام ليستغفروا ربهم عن ذنوب البشر. فاقرأ معي:

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى ٥].

---

(١) الحديث رقم ١٧٨٠، الجامع الصغير.

وقد يلحق الخيال بتصوّر حالة ملائكة واحدة فكيف بالملء الأعلى والسموات السبع وما بينهما وما فيهما. اقرأ معي الحديث الشريف: (إن لله تعالى ملكاً لو قيل له التقم السموات السبع والأرضين بلقمة واحدة لفعل. تسبيحه: سبحانك حيث كنت)[1].

وكل ذلك أخبرنا به كتاب الله القرآن الكريم.. فتصوّر ما يجري في عالم الغيب وملكوت الله.. وكيف أن الكون كله يضج بالتسبيح والحمد والتقديس والسجود.. وما هذه الدنيا إلّا كحلقة في فلاة. كما جاء في الحديث النبوي الشريف. وتبقى أسرار الأسماء الحسنى. ونحتاج حسب عقلنا وإدراكنا القاصر لشرح كلمة اسم آلاف الصفحات.. والأسماء منها ما تخص عالم الغيب ومنها ما تخص عالم الشهادة.

وسأدوّن فيما يأتي أسماء الله الحسنى فتأملوها واحصوها وادعوا بها. كل حسب حاجته.. سبحانك ربنا سبحانك.. ما أعظم شأنك.

(هو الله الذي لا إله إلا هو. الرحمن. الرحيم. الملك. القدوس. السلام. المؤمن. المهيمن. العزيز. الجبار. المتكبر. الخالق. البارئ. المصور. الغفار. القهار. الوهاب. الرزاق. الفتاح. العليم. القابض. الباسط. الخافض. الرافع. المعز. المذل. السميع. البصير. الحكم. العدل. اللطيف. الخبير. الحليم. العظيم. الغفور. الشكور. العلي. الكبير. الحفيظ. المقيت. الحسيب. الجليل. الكريم. الرقيب. المجيب. الواسع. الحكيم. الودود. المجيد. الباعث. الشهيد. الحق. الوكيل. القوي. المتين. الولي. الحميد. المحصي. المبدي. المعيد.

---

(١) الحديث رقم ٢٣٦٠، الجامع الصغير.

المحيي. المميت. الحي. القيوم. الواجد. الماجد. الواحد. الصمد. القادر. المقتدر. المقدم. المؤخر. الأول. الآخر. الظاهر. الباطن. الوالي. المتعالي. البر. التواب. المنتقم. العفو. الرؤوف. مالك الملك. ذو الجلال والإكرام. الجامع. الغني. المغني. المانع. الضار. النافع. النور. الهادي. البديع. الباقي. الوارث. الرشيد. الصبور).

وكل اسم من هذه الأسماء الحسنى يحتاج إلى كتب ومجلدات بما يتحمّله عقل البشر لشرحه وفهمه وإعطاء ما يوجب له من معان. . فسبحان الله القوي المتعال.

الفصل الخامس

مواصفات خاصة بعالم الغيب

- إن عالم الغيب مهيمن دائماً وأبداً على عالم الشهادة.
- إن عالم الغيب يتدخل أو يستطيع التدخل في عالم الشهادة.
- إن عالم الغيب هو عالم الأرواح وعالم الشهادة هو عالم الأشباح.
- إن عالم الغيب هو اليقظة وعالم الشهادة هو النوم[1].
- إن عالم الغيب أجمل من عالم الشهادة.
- إن عالم الغيب لا تنطبق عليه قوانين عالم الشهادة.
- إن عالم الغيب هو العالم العلوي وعالم الشهادة هو العالم السفلي.
- إن عالم الغيب هو اللاهوت وعالم الشهادة هو الناسوت[2].
- إن عالم الغيب هو مصير كل شيء من عالم الشهادة.
- إن عالم الغيب عالم واع. وعالم لشهادة عالم يعي مشاهدته فقط.
- إن عالم الشهادة فيه ملايين المخلوقات كالطيور وما في البحار والدواب والانعام والحشرات إلخ. ومن بين هذه المخلوقات

---

(١) كما جاء في الحديث الشريف: (الناس نيام.. فإذا ماتوا استيقظوا).

(٢) اللاهوت والناسوت: كلمتان لعلماء الفلسفة. والناسوت هو العالم المادي.

تميّز بني آدم بالعقل والإدراك والإرادة والحساب والتطوّر. وما سواهم لا يملكون من الإرادة شيئاً سوى ما هو مرسوم لهم في البرنامج الذي يوجد في: (جهاز الدماغ) عندهم. حتى أن كل صوت فيهم يسبح بحمد ربه. اقرأ معي الأحاديث الشريفة التالية:

١• لا تقتلوا الجراد، فإنه من جند الله الأعظم.

[رواه الطبراني عن أبي زهير ﷺ](١).

٢• لا تقتلوا الضفادع، فإن نقيقهن تسبيح.

[رواه النساء عن ابن عمر ﷺ](٢).

٣• لا تسبوا الديك فإنه يوقظ للصلاة.

[رواه أبو داود عن زيد بن خالد ﷺ](٣).

٤• قرصت نملة نبيًّا من الأنبياء، فأمر بقرية النمل فأحرقت فأوحى الله تعالى إليه: قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح.

[رواه البخاري ومسلم والنسائي عن أبي هريرة](٤).

- إن عالم الغيب ليس عالماً واحداً. . بل إنه عوالم لا يعلمها إلّا الخالق جل وعلا. أما عالم الشهادة فهو عالم واحد مما نراه.
- إن عالم الغيب كان مستمرًّا وسيستمر في إخراج عالم الشهادة دورة بعد دورة. ولتوضيح هذه العبارة نقول وقولنا مأخوذ من رأي الأستاذ

---

(١) حديث رقم ٩٨٤٢، الجامع الصغير.

(٢) حديث رقم ٩٨٤٣، الجامع الصغير.

(٣) حديث رقم ٩٧٨٦، الجامع الصغير.

(٤) حديث رقم ٦١١٦، الجامع الصغير.

علي الحلي. مؤلف كتاب (الكون والقرآن) المطبوع في بغداد سنة ١٩٦٧م يقول: بأن زمن وجود الإنسان في الأرض منذ هبوط سيدنا آدم عليه السلام وإلى يوم القيامة هو دورة من دورات الحياة وليس البشر هم أول مخلوقات الله من هذا النوع وإنما هي دورات متعاقبة في عالم الشهادة حتى إذا قامت القيامة وتمّ حساب المخلوقات لم ينته مثل هذا الأمر بل يخلق الله سبحانه وتعالى خلقاً جديداً في عالم الشهادة في الأرض أو في غير الأرض ويبعث إليهم الأنبياء بشكل من الأشكال ولكل دورة حالة.. وهذه الدورات كانت وما نحن بني البشر إلّا دورة ضمن دورات وستستمر إلى ما شاء الله. (انتهى) هذا هو رأي مؤلف الكتاب المذكور.. وله في ذلك حجج من المعقول والمنقول قدمها بين أيدي القارئ. فليراجعه من شاء أن يستزيد.

- عالم الغيب بالإضافة إلى كونه ليس بعالم واحد بل عوالم لا يعلمها إلّا الله. إلّا أنه أيضاً درجات. وجاء ذلك في حديث الإسراء والمعراج الذي كشف عن حالة السموات السبع. ونترك القارئ الكريم ونص الحديث النبوي الشريف.

- **الحديث الشريف الأول**[١]:

فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغها في صدري، ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء الدنيا فلما جئنا السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء الدنيا: افتح، قال: من هذا؟

(١) حديث رقم ٥٨٤٥، الجامع الصغير.

قال: هذا جبريل، قال: هل معك أحد؟ قال: نعم معي محمد، قال: افأرسل إليه؟ قال: نعم فافتح. فلما علونا السماء الدنيا فإذا رجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذ نظر قبل شماله بكى، فقال: مرحبا بالنبي والابن الصالح. قلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا آدم وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه، فأهل اليمين أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله أهل النار؛ فإذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى، ثم عرج بي جبريل حتى أتى السماء الثانية فقال لخازنها افتح: فقال له خازنها مثل ما قال خازن السماء الدنيا، ففتح، فلما مررت بإدريس، قال مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح قلت: من هذا؟ قال إدريس، ثم مرت بموسى فقال: مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح، فقلت: من هذا؟ قال هذا موسى، ثم مررت بعيسى فقال: مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح، قلت من هذا؟ قال: عيسى ابن مريم، ثم مررت بإبراهيم فقال: مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح، قلت من هذا؟ قال: هذا إبراهيم ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف الأقلام، ففرض الله ﷻ على أمتي خمسين صلاة، فرجعت بذلك حتى مررت على موسى، فقال موسى: ماذا فرض ربك على أمتك؟ قلت: فرض عليه خمسين صلاة، قال لي موسى: فراجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعت ربي، فوضع شطراً فرجعت إلى موسى فأخبرته فقال: راجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعت ربي فقال: هن خمس وهي خمسون، لا يبدل القول لدي، فرجعت إلى موسى فقال: راجع ربك، فقلت قد استحيت من ربي، ثم انطلق بي حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي، ثم دخلت الجنّة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك:

(ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف الأقلام).

[عن أبي ذر إلا قوله ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف الأقلام فإنه عن ابن عباس وأبي حبة البدري حديث صحيح.]

إن عالم الغيب تتحوّل فيه النوايا والأفكار والأعمال من عالم الشهادة إلى كائنات ومخلوقات محدّدة. تأتي كل واحدة منها لتنقذ المؤمن من مصيبة وهول من أهوال يوم القيامة. فاقرأ معي الحديث الشريف وتأمل وفكر ولندعوا الله الرحمن الرحيم أن يسدّد خطانا ويلهمنا العمل الصالح ويتقبله منا لينقذنا بمشيئته سبحانه من الويلات التي أتى الحديث الشريف على ذكرها وعلاج كل واحدة منها.

- **الحديث الشريف الثاني[1]:**

إني رأيت البارحة عجباً: رأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب، فجاءه وضوءه فاستنقذه من ذلك، ورأيت رجلاً من أمتي قد بسط عليه عذاب القبر فجاءته صلاته فاستنقذته من ذلك ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته الشياطين، فجاءه ذكر الله فخلصه منهم، ورأيت رجلاً من أمتي يلهث عطشاً، فجاءه صيام رمضان فسقاه، ورأيت رجلاً من أمتي من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظُلمة. وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة، فجاءته حجته وعمرته فاستخرجاه من الظلمة، ورأيت رجلاً من أمتي جاءه ملك الموت ليقبض روحه، فجاءه بره بوالديه فردّه عنه، ورأيت رجلاً من أمتي يكلم المؤمنين ولا يكلمونه، فجاءته صلة الرحم

---

(١) حديث رقم ٢٦٥٢، الجامع الصغير.

فقالت: إن هذا كان واصلاً لرحمه فكلمهم وكلموه وصار معهم، ورأيت رجلاً من أمتي يأتي النبيين وهم حلق حلق كلما مرّ على حلقة طرد، فجاءه اغتساله من الجنابة فأخذ بيده فأجلسه إلى جنبي، ورأيت رجلاً من أمتي يتقي وهج النار بيديه عن وجهه، فجاءته صدقته فصار ظلّاً على رأسه وستراً عن وجهه، ورأيت رجلاً من أمتي جاءته زبانية العذاب، فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من ذلك، ورأيت رجلاً من أمتي هوى في النار، فجاءته دموعه اللاتي بكى بهنّ في الدنيا من خشية الله فأخرجته من النار، ورأيت رجلاً من أمتي قد هوت صحيفته إلى شماله، فجاء خوفه من الله تعالى فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه ورأيت رجلاً من أمتي قد خفّ ميزانه، فجاءته أفراطه فثقلوا ميزانه، ورأيت رجلاً من أمتي على شفير جهنم، فجاءه وجله من الله تعالى فاستنقذه من ذلك، ورأيت رجلاً من أمتي يرعد كما ترعد السعفة فجاءه حسن ظنه بالله تعالى فسكن رعدته، ورأيته رجلاً من أمتي يزحف على الصراط مرة ويحبو مرة، فجاءته صلاته عليّ فأخذت بيده فأقامته على الصراط حتى جاز، ورأيت رجلاً من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة لا إله إلّا الله فأخذت بيده فأدخلته الجنة. الحكيم.

[رواه الطبراني عن عبدالرحمن بن سمرة ﷺ].

وهنا نكتفي بهذا القدر من بيان مواصفات عالم الغيب. . تلك المواصفات التي لا يمكن الإحاطة بها مهما تمّت الاستزادة. وللقارئ الكريم أن يضيف إليه ما يشاء بعد أن انتبه إلى بعض منها وربما كان في علمه ذلك ولكن لم ييسر له أن يكتبه.

الفصل السادس

الزمن في عالم الغيب

إن العلم كله.. أو العلوم كلها، ما ظهر منها وما لم يظهر هو ما مسموح به للبشر.. وإن العلم صفة من صفات الله سبحانه وتعالى.. فهو (العليم).. و(العليم) اسم من أسماء الله الحسنى..

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة ٩٧].

وقد أتعب علماء المنطق والكلام أنفسهم قروناً بالبحث والتحليل عن صفات الله وذاته هل هما متصلتان أم لا.. وقد سارت مذاهب وسفكت الدماء خلال العهد العباسي لهذا السبب.

وفي جدالهم قد استنبطوا مقولتهم الشهيرة (هو هي وهي هو). وفي رأيي: إنهم تاهوا باستخدام العقل وحده في الحديث عن الله. فمعرفة الخالق سبحانه لا يمكن إدراكها بالعقل وحده. يقول فريد الدين العطار في كتابه منطق الطير. هيهات هيهات للعقل أن يقوى على إدراك الله سبحانه تعالى فالعقل عاجز عن إدراك سر المخلوقات فكيف به يجرؤ على معرفة سر الخالق[1] فإذا قلنا (صفات الله) فالصفات جمع (صفة).. معنى ذلك أن هناك رقماً ما وستنتهي عنده

---

(١) منطق الطير، ص٦٨.

الصفات.. ولا بدّ من ذلك.. وإذا توقف رقم عد الصفات صار الموصوف عاجزاً..! وإذا كانت الأسماء الحسنى هي كل صفات الله أو أسمائه الحسنى فهذا يؤدي إلى النتيجة ذاتها..

لكن الأسماء الحسنى هي المخصّصة لتعامل البشر فقط.. أو للتعامل مع البشر.. فهذه الأسماء ومعانيها هي أقصى ما يتحمله البشر وليس أقصى ما عند الله.. فليس عند الله (أقصى).. وكلمة (أقصى) من خلقه أيضاً. وكذلك كلمة (صفات) هي من خلقه سبحانه..

فلا يمكن الاستدلال على الخالق بالدخول إلى الاستدلال من معاني مخلوقاته.. فالمنطق الذي ينطبق على المخلوقات. لا يمكن مطلقاً قياس الاستدلال به بالخالق سبحانه من هذا المنطق.. وهذا (المنطق) أيضاً من خلق الله.. والذين يتأملون مخلوقات الله ويتفكرون في هذه المخلوقات وعظمة الخالق هم الذين يستقر الإيمان في قلوبهم ويستدلون بها على أن للمخلوقات خالقاً بدون الدخول في المتاهات الفكرية والفلسفية.

فالعلم صفة من صفات الله. على الأقل حسب مفهومنا البشري. فما أدرانا بالعلم الذي هو مقصود.. وما مداه وما منتهاه..!؟ إن كان له منتهى..

فلنعد إلى موضوع الزمن:

إن الزمن يسري على بعض خلق الله.. ولا يسري على البعض الآخر.. والبشر من ضمن المخلوقات التي يسري عليهم الزمن.

ولكن.. لنتساءل: هل يمكننا الانفلات من سريان الزمن علينا. ومتى..؟ وكيف..؟

وقبل سرد التفاصيل أقول نعم نستطيع الإفلات من الزمن بإحدى الأمور التالية:

١ • الموت: فبالموت ننفلت من قبضة الزمن البشري لندخل من خلال الحجاب المخترق في لحظة الموت إلى عالم الغيب السرمدي حيث: (لا زمن)..

٢ • بالنظرية النسبية: حسب ما جاء به الدماغ البشري الفذ العبقري الموهوب العالم أينشتاين بأن أي جسم يصل سرعته إلى سرعة الضوء (٣٠٠٠٠٠كم/ ثا) فإنه يخرج من هيمنة الزمن. وهذا ثابت نظريًّا وبالمعدلات الرياضية المعقدة المعروفة لدى العلماء.

٣ • وقبل هذا وذاك. ويخرج الكائن البشري من سريان الزمن عليه عندما يتدخل رب العالمين. خالق المخلوق وخالق الزمن. ومثال ذلك ما حصل لأهل الكهف وما حصل لسيدنا عزير عليه السلام ولطعامه وشرابه وحماره. وهنا لم يخرج سيدنا عزير عليه السلام لوحده من قبضة الزمن. بل حماره وطعامه وشرابه.. فلم يسرِ عليهم قوانين الزمن من إصابة من يسري عليه بالكبر والهرم للكائن الحي والتعفّن للطعام والأسن للماء.

فالزمن إلزام إلهي لبعض من مخلوقاته لحكمة لا يعلمها إلّا هو سبحانه. ويختلف الزمن في عالم الغيب أو يتلاشى. وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم أموراً عن الزمن فقال جل من قائل:

﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج ٤٧].

نعم مما نعد نحن. وهذا العد خاص بالبشر..

وقد ورد في الحديث الشريف: (الدنيا سبعة أيام من أيام الآخرة) **[رواه الديلمي في مسند الفردوس عن أنس ﷺ]**[1].

والمعنى واضح. فالدنيا هي دنيانا التي نعيش فيها والزمن المقصود هو من يوم هبوط سيدنا آدم من الجنة إلى يوم ينفخ في الصور.. والله تعالى أعلم بمقدار هذا الزمن السحيق والذي يعادل سبعة أيام من أيام الآخرة أو من يوم خلق الأرض إلى يوم القيامة تعادل سبعة أيام من أيام الآخرة، والاحتمالان واردان.. والله أعلم.

فالزمن أو اليوم الواحد مما نعده هو مدة دوران الأرض حول نفسها والسنة تساوي مدة دوران الأرض حول الشمس. لكن ما بالك إذا كنا من سكان كوكب (نبتون) وهو أحد كواكب المجموعة الشمسية؟

لأن سنة كوكب نبتون تعادل ١٦٤ سنة أرضية وهي المدة التي يحتاج إليها ليدور حول الشمس دورة واحدة والآية الشريفة قد نزلت:

﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ **[الحج ٤٧]**.

لكن الخالق سبحانه محيط بكل شيء.. فعد الزمن على الأرض شيء وعلى الكواكب الأخرى شيء آخر. وفي عالم الغيب مختلف أو غير موجود إطلاقًا بشكله الحالي. ولهذا أتمّت الآية بكلمة ﴿مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾.. صدق رب العالمين. نعم مما تعدون أيها البشر. يا بني آدم.. أنتم لكم زمن يسري عليكم.. وليس بالضرورة أن يسري على مخلوقات وعوالم أخرى كما يسري عليكم..

ونضرب مثلاً للإحساس بالزمن. فنقول إن الذين ماتوا قبل مئة ألف سنة.. عندما يبعثون يوم القيامة يتسائلون:

---

(١) الحديث رقم ٤٢٧٧، الجامع الصغير.

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [الكهف ١٩].

ولماذا قال يوماً أو بعض يوم.. لأن مقاييس ومصطلحات ومفردات الزمان هي (يوم - أسبوع - شهر - سنة) واليوم هو أصغر مدة زمنية. فهذه الـ(مئة ألف سنة) تصوّرها أو ظنّها ليس يوماً كاملاً.. ففي ذلك شك. ولكن يوماً.. أو بعض يوم.. لا وجود للزمن ولا الإحساس بالزمن من لحظة الموت إلى البعث والنشور..

وفي النوم آية.. يأتي إنسان متعب بعد نهار عمل شاق فينام (٦) ساعات متواصلة.. ثم يستيقظ.. فهل يشعر بعدد الساعات وبهذا الزمن الذي قضاه في النوم..؟ كلا مطلقاً.. وهذا تدريب وممارسة ودرس على ما يكون عليه الأمر بعد الموت.. وعلى ما يكون عليه الأمر في عالم الغيب وقد جاء في الحديث الشريف:

(النوم أخو الموت، ولا يموت أهل الجنّة)

[رواه البيهقي في شعب الإيمان عن جابر ﷺ][1].

والرؤيا الصالحة آية.. فأنت ترى في منامك بأنك في مكان قصي وربما قضيت هناك أياماً أو شهوراً أو ما شاء الله.. وبعد لحظة تستيقظ فقد يكون مضى عليك ثوان..

هذه كلها آيات..

وربما قضيت خمس دقائق في عذاب حسبته ساعات.

وربما قضيت ساعات مع الأحبة وحسبته دقائق.

والليل والنهار آيتان من آيات الله سبحانه وهما كذلك مخلوقان من مخلوقات الله. وقد جاء في الحديث الشريف:

---

(١) حديث رقم ٩٣٢٥، الجامع الصغير.

(الليل خلق من خلق الله عظيم)[١]

[رواه أبو داود في مراسيله والبيهقي في سننه عن أبي رزين مرسلاً].

والزمن عملة البشر جميعاً يصرفونه دائماً إلى أن ينتهي رصيدهم من بنك الزمن حيث يحدّد أعمارهم..

والجنين في بطن أمه يبقى (٩) أشهر فهل شعر بالزمن..؟ والطفل بعد ولادته سنة أو سنتين أو ثلاث.. هل يشعر بالزمن..؟ وتأمل عمرك الماضي (٣٠) أو (٤٠) أو (٥٠) سنة هل تشعر بثقلها..؟ على كل حال. ونحن جميعاً مقيّدون بالزمن.. حتى أصغر خلايا جسمنا مقيّد بالزمن.. فالخلية تولد أو تخلق لكنها تموت بعد زمن محدود..

فأنت أيها الإنسان مقيّد بالزمن.. جميع خلاياك وأعضائك كلها مقيدة بالزمن..

إن الزمن الذي نعرفه يجري على عالم الشهادة فقط.

كل ذلك ولا زال للزمن أسراراً وأسراراً.

يأتي إلينا الزمن الغيب ويمر علينا ثم يختفي في عالم الغيب..

يمر مخترقاً كل شيء في الوجود..

يأتي وتأتي معه الأحداث..

الولادات.. الوفيات.. الأرزاق.. الأثمار.. الحوادث.. الاختراعات.. الزلازل.. الأمطار.. الكسوف والخسوف.. وو.. وفي الوقت المعلوم سيجلب معه نفخ الصور ويوم القيامة..

فسبحان الله العزيز المتعال..

---

(١) حديث رقم ٧٧٥٤، الجامع الصغير.

وفي المخطط التالي يمكن توضيح ذلك أكثر

الماضي عالم الغيب	الحاضر عالم الشهادة	المستقبل عالم الغيب
الماضي: صار في عالم الغيب وتمّ تسجيل كل الأشياء من أعمال وحركات وكلمات وهمسات ومن كل كبيرة وصغيرة. صوتاً وصورة وخواطر وخيالات ونوايا وما في الصدور.. جميعها سجّلت وتعرض جميعها يوم القيامة. ولكل واحد صحيفته، وفيها كل تلك الأمور ويقال له: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء ١٤]. **فيقولون بعدما يقرأوا ذلك الكتاب** ﴿يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ **[الكهف ٤٩].**	يسري على: البشر والطيور والدواب والأنعام والحشرات والميكربات والنباتات والأشجار والأنهار والجبال والنجوم والكواكب (المجموعة الشمسية) المجرات المرئية وغير المرئية وكل شيء تراه أو لا تراه في عالم الشهادة. يجري عليهم الزمن جميعاً.	إن الزمن يتدفّق ويسيل من خزين الخالق من الغيب الآتي يجري باستمرار وعلى كل شيء. ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة ٢٥٥]. **والزمن المتدفق من المستقبل إلى الحاضر ثم يختفي في الماضي مثل شريط سينمائي لا ينتهي إلّا بيوم القيامة.**
لا وجود للزمن	بدء الزمن في عالم الشهادة وانتهائه	لا وجود للزمن
يعود لعالم الغيب حاملا معه الأحداث	يمر بعالم الشهادة	يتدفق الزمن من عالم الغيب إلى عالم الشهادة

--------------► --------► ----------►

وبالإضافة لما تقدّكم فمن المفيد أن تعرف بأن الزمن ليس فقط ينبعث من الغيب ليمر على مخلوقات الله ويأخذ معه من يأخذ وما يأخذ إلى عالم الغيب. بل أن هذا الزمن فيه مرونة عجيبة وغريبة فمن الممكن أن يبقى بقياسه الحالي ومن الممكن أن يتسارع. ليس بمعنى تسارع حركات النجوم والكواكب. بل بمعنى ما ينتج من سريانه. فمثلاً إذا تزوج الإنسان في الحياة الدنيا ورزقه رب العالمين ولداً فإن هذه الولادة تتم في تسعة شهور ويكبر الولد ليصير يافعاً في بضع سنين وهكذا لكن ماذا يحدث في الجنة لمثل هذا الأمر؟ والجواب في الحديث النبوي الشريف: (المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة كان حمله ووضعه وسنه في ساعة واحدة كما يشتهي)[١]

[رواه أحمد في مسنده والترمذي وابن حبان في صحيحه].

● **أنواع الزمن:**

إن الزمن الذي يسري على البشر والسماوات نوعان هما:

١● زمن يسري على السماوات والأرض والإنسان وهذا الزمن يساوي من زمن الصفر إلى يوم الوقت المعلوم (والزمن الصفر هو لحظة خلق الكون حيث بدأ الزمن). أي من لحظة الخلق الأولى (لحظة الانفجار المدوي) فالوجود وبدء الأحداث الكونية جميعها. وهذا الزمن يسري على الكون والنجوم والكواكب والمجموعة الشمسية وفي الوقت ذاته فإنه يسري على البشر. أي أن البشر والكون مشتركان

---

(١) حديث رقم ٩١٦٢، الجامع الصغير.

في سريان هذا الزمن عليهما. وهذه نستطيع أن نسميها (عالم الشهادة الكلي).

٢● زمن يسري على الإنسان. وهذا يتضمّن الزمن من لحظة الميلاد إلى لحظة الموت الذي يساوي يوم القيامة حيث لا زمن بين الموت ويوم البعث والنشور.

يبدأ هذا الزمن بمولد الإنسان حيث الوعي والعقل وينتهي بموته وهنا يتساوى لحظة الموت مع موعد يوم القيامة. لأنه لا زمان بين الموت ويوم القيامة. فهنا يوجد تداخل ونستطيع أن نسمي هذا العالم بـ(عالم الشهادة الفردي). وهو العالم الذي يشاهده الإنسان من ميلاده إلى موته وقولنا هذا لا يتعارض مع ما يجري على الميت من سؤال وحساب وأهوال. وقد جاء في الحديث الشريف:

(لو يعلم المرء ما يأتيه بعد الموت ما أكل أكلة ولا شرب شربة إلّا وهو يبكي ويضرب على صدره)

[رواه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة ﷺ][1].

ومن هذا نستنتج أنه في عالم الشهادة الكلي يستمر الخلق والنشور دائماً وأبداً. وقد يخلق الله ما يشاء داخل عالم الشهادة الكلي وقد يفني ما يشاء. والتغيّر مستمر في حالة وتفاصيل عالم الشهادة الكلي وحالة وتفاصيل وأحداث عالم الشهادة الفردي. وكل لحظة كلاهما في تغيير مستمر.

وعند كتابة السطر الأول من هذه الصفحة كانت مواقع وحالات السماوات بكواكبها ونجومها ومجراتها وسدمها وحالة البشر بأعدادها

---

(١) الحديث رقم ٧٥٠٠، الجامع الصغير.

وأحداثها وتفاصيلها وحركة الأرض والشمس. . كانت شيئاً. . وعند وصولي إلى هذا السطر أصبحت شيئاً آخر مختلفاً كليًّا في كل لحظة. وهي جميعاً تحت إرادة الخالق سبحانه حيث وصف نفسه بأنه: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن ٢٩].

وقبل أن أنهي هذا الفصل عن الزمن الذي يسري على الأشياء في عالم الشهادة ولا تأثير له ولا وجود في عالم الغيب. أرى من المفيد هنا أن أنقل عبارة وردت على لسان كبير الكهنة في معبد آمون في مصر في واحة سيوه عام ٣٣٢ق.م حينما قدم الإسكندر المقدوني خلال زحفه في الشرق ليستشير الإله (آمون) في مسيرته وغزواته وليسأله عن قاتل أبيه. وقبل وصوله يدور حوار بين الكاهن (حابي) وكبير الكهنة واسمه (ماساهرتا)، فيتحدث هذا الأخير إلى حابي قبل وصول الاسكندر فيقول: (وهل نفهم نحن من نظام الدنيا شيئاً حتى نحكم على خالقها ذلك الذي يحيط بالزمان كله بين يديه وما هو كل عمرنا. . سيكون عاماً من عمر الأبدية، من اللانهاية. . وكيف نحكم على رواية لم نشهدها تتم فصولاً. . لم نشاهد منها إلّا لمحة)[1].

ولقد سبقت خيالات الشعراء وإرهاصات الفكر البشري قوانين أينشتاين. . كيف لا والشعراء والعلماء لا يختلفان في جوهرهما وكذلك الفلاسفة. . فجميعهم يمدّون (قبضة اليد) لتخترق حجب الغيب ولتستخرج درراً ولآلي. لا فرق بينهما. . فهم تراث البشرية وفكرها العبقري الملهم. وإذا ما قرأت قصيدة (البحيرة) للشاعر الفرنسي الكبير (لامارتين) لرأيت كيف أن هذا الشاعر الملهم قد تجوّل في حافات الزمن. . وكاد أن يفتح بابه. فارجع إليه إذا شئت.

---

(١) مسرحية الاسكندر الأكبر - الدكتور مصطفى محمود - القاهرة ١٩٧٦.

وقبل (لامارتين)[1] تفوّه الفيلسوف (هيراقليطس) بكلمات عن الزمن الذي شبهه بالنهر الجاري فيقول: إنك لا تنزل إلى النهر مرتين، لأن مياهاً جديدة تجري من حولك[2]. ويقول في مكان آخر: وما يصادفني، ليس بالضرورة أن يصادفك.

فما أشبه الزمن بالنهر. ولو أن جنس الزمن واحد بالنسبة لنا جميعاً، سواء الزمن قبل ألف عام أم بعد ألف عام.. كذلك مياه النهر.. فهي مياه مثل ذلك. وماء النهر هو الماء ذاته قبل ثانية واحدة أو قبل ألف سنة غير إن الماء الذي يجري على (آ) الآن وفي هذه اللحظة ليس هو الماء ذاته الذي يجري عليه بعد ١/ مليون من الثانية.. وكذلك فإن الزمن الذي يصادف (آ) الآن ليس هو ذاته بعد لحظة.. وكذلك ليس هو ذاته على (ب) و(ج) و(د).. إلخ.

فما أروع هذه التشبيهات.. إنها من فكرة العباقرة الملهمين المبدعين الموهوبين..

وكل شيء في الحياة يشيخ ويتعب ويكل ويمل ويسأم ويكتئب.. إلخ. إلّا الزمن فلا يشيخ ولا يتعب ولا يسأم.. ولا يكل ولا يمل..

والزمن ليس تحصيل حاصل حركات الأرض والقمر والشمس في دورانها جميعاً.. بل إنه كالإشعاع الغير المرئي اللطيف الذي يخترق كل شيء وبدون استثناء. ولن يتوقف أبداً.. وما الساعات والشمس والقمر إلّا للحساب والعد. اقرأ معي الآية الكريمة:

---

(١) مجلة الهلال المصرية، تموز، ١٩٧٦م.

(٢) الموسوعة الفلسفية المختصرة - مراجعة الدكتور زكي نجيب محمود - سلسلة الألف كتاب ٤٨١ - طبعة القاهرة عام ١٩٦٣.

﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ [التوبة ٣٦].

﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [يونس ١٠].

عدّة الشهور وليس عدّة الزمن.. وما هذا التقسيمات: الساعات وأجزاؤها والأيام والأسابيع والشهور والسنوات والقرون إلّا أشياء خيالية صنعها البشر لقياس أو لوضع قياس لما مرّ عليهم من الزمن الذي لا يقبل التقطيع والتجزئة. لا بل هناك أمور أخرى ستزيدك حيرة.. فالإنسان يتغيّر كل خلايا جسمه وبنسبة (١٠٠٪) كل عشر سنوات أي أنك لست أنت الذي كنت عليه قبل عشر سنوات.. والأرض ليست في مكانها لحظة إثر لحظة. وكذل القمر.. وكذلك الشمس. وكذلك المجموعة الشمسية. وكذلك المجرات.. جميعها تتحرك وتتباعد عن نفسها بسرعة هائلة للخارج دائماً.. وذلك بنص الآية الكريمة:

﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذريات ٤٧].

وكل شيء في حركة.. حتى الزمن يتحرك ويسير وأنت لا تدري.. ولكن إلى أين:

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [البقرة ٢٨٢].

ولأجل المزيد من إلقاء الضوء على موضوع الزمن لا بد من المرور على تعاريف العلماء للزمن وتفاصيله وأنواعه. وهنا نستعين بكتاب (النسبية) لمؤلفه (بول كوديرك)[١] حيث خصّص فصلاً خاصًّا عن الزمن سمّاه (الزمن العلمي - نشأته وتطوّره بالقياس).

---

(١) النسبية: بول كوديرك، ترجمة مصطفى الرقى، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٨٢.

وقسمه إلى خمسة أنواع مع الشرح لكل نوع منه وكما يلي:

١ • **الزمن كما نشعر به**: وقد جاءت فيه عبارة وهي (إن الزمن الفاصل بين حالتين من حالات الوعي هو الذي يولد عندنا مبدأ الديمومة ولكن تقدير هذا الزمن الفاصل غير دقيق فإنه يتأثر بعدد الحوادث وبطبيعتها وبقوتها التي تحدث في ذلك الفاصلة. وحياتنا كأفراد مفكرين لا يناسب قياسها بالساعات بل إنها تقاس بما يشغل تفكيرنا.

٢ • **الزمن الحيوي**: إذا كانت المدة قصيرة فإن الجسم الحي يقدم عدة وسائل لتقديره كميًّا كنبضات القلب وارتفاع حركة التنفس وعدد خطوات السائر على قدميه والتعب العضلي. وجميعها غير دقيقة لكن الإنسان يحسب حسابها. أحب ذلك أم كره. وقد بذلت الفلسفة والعلم الحديث كثيرًا من الجهود والدروس حول هذه الطريقة للشعور بالزمن وتقديراته وإن مبدأ الزمن الذي يعطيه الدماغ البشري يتغيّر مع الزمن.

٣ • **زمن الساعات**: وهو أول زمن علمي: وهذا يقوم على مبدأ تقسيم الزمن وإعطائه صيغة خارجية. ولتحقيق هذا أوجدت الساعة. وكل ظاهرة فيزياوية يمكن أن تلعب دور الساعة شرط أن تتكرر بانتظام بقدر ما نشاء إلخ.

٤ • **الزمن الفلكي**: إن الساعات غير صالحة لقياس الأزمنة الطويلة. واليوم وحدة زمنية عامة تفرض ذاتها وترتبط ببزوغ الشمس فوق الأفق ولكن تمّ استبدال ذلك عند العلماء بوحدة أفضل منه بكثير. ترتكز على ظاهرة شروق النجوم وغروبها. وهذه الوحدة الجديدة دعيت بـ(اليوم الفلكي) وثبتت بأنها

غاية في الدقة. ويستخدم هذا القياس في الحياة العادية والمراصد الفلكية. أما الزمن الشرعي فإنه يتغيّر طرديًّا مع الزمن الفلكي الذي ينحدر منه إلخ.

- ٥ **الزمن النيوتني**: إن علم الفيزياء لا يهتم بتعريف الزمن بل يكتفي بقياسه. وأن جميع الكواكب متقدمة على أوضاعها[1]. وأشدها تقدماً هي الكواكب السريعة أي عطارد والزهرة والمريخ. ولكن القمر بقي الدليل الأوضح في هذه الأبحاث. فالكرة الأرضية كساعة قد تأخرت (١٧) ثانية في قرن واحد بالنسبة للزمن النيوتني. وهذا التأخير سوف يتزايد مع الزمن إلخ.

هذا ويسهب الكتاب في الحديث عن الزمن. وقد ارتأينا أن ننقل عبارات من التعريفات للفائدة. ولنعرف بأن موضوع الزمن شائك ومعقد وصعب ولحد الآن لا يوجد له تعريف متفق عليه.

---

(١) بمعنى أن الكواكب والنجوم التي نراها في موقعها الآن ليست هي، بل انها قد تكون في موقع آخر. وربما تكون قد تلاشت. فمثلاً أن النجم الذي يصلنا شعاعه في (١٠٠٠) عام بسرعة الضوء نراه الآن لم يبق في موقعه وسنعرف مكانه في هذه اللحظة بعد (١٠٠٠) عام، لكن مواقع الكواكب ضمن المجموعة الشمسية متغيّرة بشكل طفيف. فعندما نرى المريخ في هذه اللحظة فإنها تكون قد غادرت موقعها قبل ثوان أو دقائق وذلك حسب بعدها وقربها من الأرض وسرعتها. لكن النجوم بعيدة جدًّا عنا ولهذا تقاس فروقات موقعها الحقيقي الآن وموقعها حسبما وصلنا إشعاع ضوئها فهذه تقاس بالسنين الضوئية. وجميع النجوم التي نراها في السماء هي أصلاً في غير موقعها تماماً وربما لا يكون قد أتى عليها الانهيار أو الانفجار لكن هذا الحدث يصلنا بسرعة الضوء ولهذا لم نجدها. ورب نجم خلق ولم نره.. ورب نجم هوى وتلاشى ولا زال مرئيًّا فسبحان الله المتصرف في ملكوته. اقرأ معي: ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [الواقعة ٧٥- ٧٦]. **ونستطيع الآن أن نقول بأننا حينما نتأمل السماء فإننا نظر إلى الماضي دائماً.. فتأمل.**

وإني لأرجو أن أكون قد أعطيت إشارات وملاحظات عنه للاستفادة.

● **استنتاجات:**

والآن وبعد كل ما تقدم فقد آن الأوان لنستخلص استنتاجات محدّدة تلخيصاً للموضوع وبياناً له فنقول:

١● إن عالم الشهادة الكلي بدأ من (الزمن صفر) وينتهي في (يوم القيامة).. مع النفخ في الصور. واختلال النظام الكوني بأكمله بأمر ربه وخالقه:

﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ۝٢﴾ [التكوير ١- ٢].

٢● إن خلق مخلوقات من عالم الغيب وإظهارها أو إخراجها إلى عالم الشهادة مستمر.. فمثلاً إن كاتب هذا المقال كان في عالم الغيب قبل قرن من الزمان.. والأحداث والتغيرات التي تجري على الأرض والسماوات جميعها تأتي من عالم الغيب وسهام الموت مستمرة من عالم الغيب لتصيب من جاء أجله..

﴿لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ [الأعراف ٣٤].

ولهذا قيل عن الإنسان وتحوطه وخوفه وحسابه للمخاطر بأن (الأجل خير حارس للإنسان).. فإذا لم يكن قد آن أوان الأجل فمن المحال أن يموت والعكس بالعكس. وهنا أورد لكم بيت شعر باللغة الفارسية للشاعر الكوردي الكبير الشيخ رضا الطالباني حيث يقول:

نيك وبد كه حكم تقدير آست ترك تدبير عين تدبير آست

المعنى: الخير والشر هو من حكم التقدير
لذا فإن ترك التدبير هو عين التدبير[١].

١ • ليس من الضروري أن يكون عالم الشهادة الكلي الذي نراه.. وعالم الغيب الذي نعنيه هما العالمان الوحيدان ضمن تداولنا.. وخيالنا وتفكيرنا.. فربما كانت هنا ملايين من عوالم الغيب وملايين من عوالم الشواهد بعدد لا يعرفه إلا الله.. وجميعها خافية بعضها عن بعض. بمعنى أنه هناك عدد غير معلوم من عوالم الغيب لا يدري سكان أي عالم غيب بسكان أي عالم غيب آخر.. كذلك يوجد عدد غير معلوم من عوالم الشهادة لا يدري سكان عالم شهادة ما بسكان عالم شهادة آخر.. لا بل لا يعلم حتى بكونه موجوداً.

هذا وقد جاء في تفسير الآية الكريمة: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة النحل ٨] بما روي عن النبي ﷺ[٢].

(أَنها أرض بيضاء، مسيرة الشمس ثلاثين يوماً، مشحونة[٣] خلقاً لا يعلمون أن الله تعالى يُعصى في الأرض. قالوا: يا رسول الله، من ولد آدم؟ قال: لا يعلمون أن الله خلق آدم، قالوا: يا رسول الله فأين إبليس منهم؟ قال: لا يعلمون أن الله خلق إبليس) - ثم تلا الآية الكريمة: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. ذكره الماوردي.

وفي تفسير هذه الآية خمسة أقوال. وما نقلته هو القول

(١) ديوان الشيخ رضا الطالباني المطبوع في كركوك سنة ١٩٤٦م.

(٢) تفسير الأمام القرطبي/ الجزء التاسع/ الطبعة الثالثة/ ص ٨٠/ دار الكتب العربية/ القاهرة/ ١٩٦٧م.

(٣) مشحونة: مملوءة.

الخامس. وهنا أريد أن أضيف بأن الحديث الشريف يعني بوجود كوكب أو نجم فيه مخلوق من عالم الشهادة يعبدون الله بالفطرة ولا يعلمون بخلق آدم ولا بخلق إبليس ولا بالأرض ولا بالأنبياء.. بمعنى أن هناك كوكباً مسكوناً بخلق الله. خلق مثل خلقنا وليس من الجن ولا من الملائكة.. والله أعلم.

● ٢ مع بدء الخلق أي الزمن (صفر) فإن الأعمال هي أيضاً صفر.. لكن بعد زمن ما يكون الصفر متغيراً.. أي يكون رقماً ما.. ونضرب مثلاً لتقريب ما نريد قوله إلى الأذهان: ولد شخص في الزمن (س) وكان الزمن صفراً بالنسبة له. وطال عمره مدة ومات في الزمن (ص)..

أي أن عمره محصور بين (س) و(ص).

وهنا الزمن هو الزمن ذاته..

لكن ما استخلصه هذا الشخص من أعمال بين النقطة (س) والنقطة (ص) هو المقصود..

ولنرمز لأعماله بما يلي:

الأعمال الحسنة = ح	مجموعات الأعمال
الأعمال السيئة = ل	
الأقوال الحسنة = ق	
الأقوال السيئة = د	
النوايا الحسنة = ن	
النوايا السيئة = ك	

لذا فإن الرجل عندما يكون قد وصل إلى النقطة (ص) وهو لحظة خروجه من عالم الشهادة فهو قد دخل عالم الشهادة مجرداً من أي شيء

ومجموعات أعماله = صفراً وهو في النقطة (س). لكنه عندما يصل إلى النقطة (ص) فإن مجموعات أعماله = (ح+ ل+ ف+ د+ ن+ ك) فهو يعود لعالم الغيب وهو يحمل معه أعمالاً كثيرة وهذه الأعمال يأكل منها الطيب الخبيث كمعادلة رياضية وقد جاء في الذكر الحكيم:

﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود ١١٤].. فإذا كان الناتج الرياضي يمثّل أعمال خير فإنه يكون هانئاً ورابحاً وفائزاً وقد نال رضا الله سبحانه وخرج من الامتحان العسير والعكس صحيح أيضاً.. فتأمل..!

وقد جاء في الحديث الشريف:

(إذا مات الميت تقول الملائكة: ما قدم؟ وتقول الناس: ما خلف)

[رواه البيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة ﷺ][1].

● الزمن وشطحات الصوفية:

لقد أدرك العارفون بالله وكبار المتصوفة بعض أسرار الزمن والوقت وجالوا وصالوا في هذا الميدان. وقبل الخوض في مقولاتهم أرى من المفيد أن أنقل وصف عالم النفس الأمريكي (وليم جيمس) للتصوف فقد رأى في التصوف الإسلامي عدّة خصائص وهي[2]:

١ ● أحوال إدراكية وهي إلهامات تأتي للتصوف وليس معرفة برهانية.

---

(١) الحديث رقم ٨٤٩، الجامع الصغير.

(٢) المذاهب الصوفية ومدارسها، عبدالكريم عبدالغني قاسم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٩، ص١٦.

- ٢ أحوال وجدانية يصعب نقلها إلى الآخرين في مضمون لفظي دقيق.
- ٣ بقاء هذه الأحوال قصيرة في ذاكرة المتصوف.
- ٤ لا تحدث بإرادة المتصوف وانها خاضعة لقوة خارجية تسيطر عليها.

وقد نقلت هذا الكلام من عالم غير مسلم عمداً فخير شهادة ما نطقت به الأعداء ولأن تعريفات المتصوفة المسلمين في متناول أيدينا فما قاله أنطقه الله بالحق فأين هم من هذه الأحوال التي ذكرها أحد علمائهم الكبار؟

ونورد تعريفاً للشيخ أبو نصر سراج الطوسي حيث يقول: (إن مدار الذوق لدى الصوفية هو تلقي الأرواح للأسرار الطاهرة من الكرامات وخوارق العادات)[١].

وأعود الآن لتعريفات وجولات الصوفية في الزمان والوقت فهم لا يرون أنفسهم في زمان عالم الشهادة فهم في وحدة الكون وفيما سبق عالم الشهادة وما سيأتي بعد عالم الشهادة.

يقول الشبلي[٢]:

- ما افترقنا. . وكيف نفترق ولم يجر علينا حال الجمع أبداً.
- الافتراق يكون بعد اجتماع. فإذا كنت معه قبل الجمع كيف تفترق عنه؟

---

(١) المرجع السابق، ص١١٤.

(٢) كتاب مدارات صوفية، هادي العلوي، دار المدى للثقافة والنشر، سورية، ١٩٩٧، ص٦٤.

ويقول عن الوقت:

- ألف عام ماضية في ألف عام واردة. هو ذا الوقت ولا تغرنكم الأشباح.
- أنتم أوقاتكم مقطوعة. ووقتي ليس له طرفان.
- والصوفية لا يرون الفرق بين البشر قبل آلاف الأعوام وبين البشر الآن ومن سيأتي بعد الآف الأعوام. . فهم يتعاملون معهم جميعاً وكأنهم موجودون في الأزمنة كلها في آن واحد.

فهذا العارف بالله عبدالكريم الجيلي[١] يقول:

- أنا الولد الذي أبوه ابنه والخمر الذي كرمه دنه[٢].
- أنا الفرع الذي أنتج أصله والسهم الذي قوسه نصله.
- اجتمعت بالأمهات اللاتي ولدنني.
- فمثل هذا العارف يرى بداية الخلق ونهايته أمراً واحداً.

وعرّف ابن عربي الوقت بأنه:

- حالك في زمان الحال فهو حال زائل.

ونورد ما قاله السراج الطوسي في كتابه (اللمع) فيقول في تعريف الوقت:

- الوقت: هو الهنيهة التي يكون فيها الصوفي حاضراً بقلبه مع الله.

---

(١) ابن سبط الشيخ عبدالقادر الكيلاني: وهو من كبار المتصوفة، له كتاب (الإنسان الكامل) طبعت سنة ١٣٣٥هـ الموافق ١٩١٦م وطبعه مصطفى بابي الحلبي في مصر. وهو كتاب نادر جدًا، المصدر السابق، ص١٠١.

(٢) الدن: وعاء الخمر وحاويتها.

- والوقت هو الآن وهو لفظ بين معدومين هما الماضي والمستقبل فالماضي مضى والمستقبل لم يأتِ والفقير ابن وقته.
- وهكذا يرى المتصوفة تعاملهم مع الوجود والكون تعامل المحلق فيه. يقول العارف بالله عطاء الله السكندري[١].
- الكون كله ظلمة وإنما أناره ظهور الحق فيه.
- روح الإنسان أوسع من الكون.
- الكائن في الكون ولم تفتح له ميادين الغيوب مسجون بمحيطاته وسوره ومحصور في هيكل ذاته.

لا بل إن بعض فلاسفة المسلمين قد ذهبوا أبعد من هذا. فبعضهم قد انتشى بحياته في الجنة وما أعد للمتقين فيها، اقرأ معي هذه الأبيات للشيخ سعدي الشيرازي[٢]:

طربت وبعد القول في فم منشدي ... سكرت وبعد الخمر في يد ساكبي

أيقتلني سهم ولم أدر من رمى ... أيقتلني سيف ولم أر ضاربي

ترى الناس سكرى في مجالس شربهم ... وها أنا سكران ولست بشارب

ويقول ابن الفارض المعروف بسلطان الشعراء وهو من المتصوّفة المشهورين[٣]:

---

(١) مدارات صوفية، ص٢٣٦.

(٢) كليات سعدي - تحقيق محمد فروغي - مؤسسة انشار أمير كبير - طهران ١٣٧٩.

(٣) ابن الفارض: هو الشيخ شرف الدين أبو حفص عمر المعروف بابن الفارض (١١٨١- ١٢٢٥)م ولد في القاهرة وتوفي فيها. من مفكري الإسلام والمتصوفين. عاش متنسكاً في وادي المستضعفين في المقطم ثم في الحجاز. له ديوان أشهر ما فيه تائيته الكبرى وقد ضمّها سجل حياته الروحية وعرض فيها مذهبه الصوفي. ثم الميمية في الخمرة أي المعرفة الإلهية:

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرمُ
صفاء ولا ماء ولطف ولا هوا ونور ولا نار وروح ولا جسمُ
وعندي منها نشوة قبل نشأتي معي أبداً تبقى وإن بلي العظمُ

وهذه أبيات للشاعر الإيراني الكبير حافظ الشيرازي المعروف بلسان الغيب حيث يقول(١):

دوش ديدم كه ملائك در ميخانه زدند كَلى آدم بسرو شتندو به يمانه زدند
آسمان بار أمانت نه توانست كشيد قره ى فال به نام من ديوانه زدند

المعنى: رأيت الملائكة ليلة أمس وقد دخلوا الحانة وكانوا يعجنون طينة آدم ويعطونه العهد لم تتحمل السموات ثقل هذه الأمانة فوقعت الأمانة العظيمة علي أنا الجاهل.

إشارة إلى الأية الكريمة:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب ٧٢].

---

(١) حافظ شيرازي (شمس الدين محمد) ١٣٢٠- ١٣٨٩م ولد في شيراز - شاعر فارسي شهير تفتخر به إيران ومعروف بمستوى العالم - ترجمت أشعاره إلى الكثير من اللغات مع شروح وافية.

الفصل السابع

الوعي وعالم الغيب والشهادة

إن كلمة (الوعي) مهمّة جدًّا ومبهمة جدًّا. . فما هو تعريفها. . ؟ بل إن تعريفها يختلف من موضوع إلى آخر. . فهي لغة شيء وفلسفة شيء آخر. . وكذلك فهي شيء مختلف لدى علماء النفس. . إلخ.

فهل لك وعي بوجودك. . ؟

وكم إنسان عاش ومات ولم يع بوجوده. بل لم يحرك عنده مكامن الوعي أبداً. .

والوعي هو غير الإحساس. . وهو غير الشعور. . وهو غير الانتباه. . وهو غير التفكير. . وهو غير الحب. . وهو غير الشعور بالليل والنهار. .

الوعي: مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالوجود.

تأمل نفسك: مَن أنت. . ؟

تنام فيغيب كل إحساس ووعي منك. .

ثم تنهض. . تتحرك. . تتكلم. . تضحك. . تبكي. . تفرح. . تحزن. . تغضب. . ترضى. . تحب. . تكره إلخ. . فما هي هذه الأمور. . ؟

هذه الأصابع التي تكتب.. وهذه اليد التي تحرك وهذه الأطراف والعيون والآذان.. والجهاز الهضمي والهيكل العظمي.. والمشي.. والوقوف.. والجلوس.. تأمل ذلك يا أخي تأمل.. هذه المفردات وآلاف مثلها.. إنك في غاية العجب..!

ورغم كل ذلك، فإنها جميعاً ليست بالوعي..!! وقد تسأل: لماذا.. وكيف.؟ فأقول:

- **الوعي**: هو الاندماج في وجودك الزمني والكوني. وكلما اندمجت وتفهمت وجودك.. وعرفت وفهمت نقيض وجودك.. وإذا قلّت المسافة عندك بين الموت والحياة.. بين الفرح والحزن.. بين الشتاء والصيف.. بين الليل والنهار وكلما زادت هذه المفردات لديك.. زدت وعياً.. وهذا الوعي يجب أن يكون باتجاه الوجود الزمني. الوعي هو أن يكون الماضي والحاضر والمستقبل وكأنها جميعاً شيء واحد.
- **الوعي**: هو أن يقل الفرق عندك بين المنظور واللامنظور.. الوعي هو أن تتفاعل وتتعامل بشكل مرهف جدًّا مع كل العوالم المكتشفة حولك ورغم ذلك تدرك بأن هناك عوالم غير مكتشفة أنت بصدد اكتشافها أو إنها تناديك لتكتشفها..

ويبدأ الانطلاق بالوعي عندما تمسك مطرقة وإزميلاً لتحاول فتح فجوة في جدار الزمن لتفتح شباكها تطل منه على ما تطل.. ويزداد وعيك عمقاً كلما زدت في ثقب الجدار السميك الشبيه بالمرمر الصلب.. (كتشبيه مجازي). ويزداد وعيك أكثر عندما تحفر.. وتحفر.. كأنك داخل كرة من حجر وتحاول أن تثقبه.. ويجب أن يكون عملك هذا ليس عشوائيًّا أو اعتباطاً.. بل يجب أن تعلم ما

تفعل.. وأن تعلم ما ستفعل عندما يحين الأوان للإطلالة.. وكلما توسعت في وعيك في عالم الشهادة كلما كنت مؤهلاً أكثر ومتهيئاً لاكتشاف (مناطق) مناسبة خارج الكرة المرمرية. لتتفرج من فتحة صغيرة على شيء ما في عالم آخر..

الوعي.. الوعي..

كم أتعبتني. ولم أزل أدور حول سور قصرك..!

- **الوعي**: هو أن لا تشعر بأن أي شيء في هذا الكون غريب عنك..
- **الوعي**: هو أن لا تشعر بأنك غريب عن أي شيء في هذا الوجود.. كل شيء له صلة قربى بك.. من الحجر إلى الشجر.. من الشمس إلى القمر..
من الخبز إلى الماء.. وأن تعرف بأن لكل الأشياء صلة بك..
فكل شيء له سحره.. وله سرّه..
- **الوعي**: هو أن تكون متآلفاً مع كل شيء في داخلك.. ومع كل شيء في خارجك..
- **الوعي**: هو أن ترى نفسك في كل حرف تكتبه.. وفي كل حرف تقرأه..
- **الوعي**: هو أن تدري بأن كل شيء متغيّر فوراً.. وحتى وعيك متغيّر.. يزيد أو ينقص..
يقل أو يكثر.. يضيق أو يتوسع..
- **الوعي**: هو أن تفعل شيئاً وأن تستطيع أن تفعل نقيضه إذا شئت.. ولكن رادعاً ما يمنعك عن قناعة..

إن أعظم عاشق هو أعظم كاره.. فهو قد وضع كل الكره جانباً واختار العشق..

وإن أعظم قديس هو أعظم ماجن.. وهو قد جمع كل المجون جانباً وصفى.. وصار قديساً..

- **الوعي**: هو أن تعي بأنك تعي..!
وفي كل خطوة وعي يرفع مقداراً من اللاوعي ويضع مكانه شيئاً من الوعي..
- **الوعي**: هو أن تكون المحامي والمدعي العام والمتّهم والقاضي والمحلفين جميعاً في آن واحد..
- **الوعي**: هو أن تكون أنت القتيل عندما يقتل شخص ما..
- **الوعي**: أن تكون أنت الوليد عندما يولد وليد.. وأنت الميت عندما يموت إنسان ما.
- **الوعي**: هو أن تكون أنت (النوطة) والعازف والآلة في السمفونية وتكون الجمهور في الوقت ذاته.
- **الوعي**: هو أن تلتصق بالوجود والأشياء في آن واحد..
- **الوعي**: هو أن ترفض أن تكون لوناً معيناً.. بل أن تكون شعاع الشمس الذي يحتوي الألوان كلها..
- **الوعي**: أن تعرف الشر وتتجنبه..
- وأن تعرف الخير وتتبعه وتصنعه..
- **الوعي**: هو أن تكون الضوء والسراج والزيت في آن واحد..
- **الوعي**: هو أن تعرف بأن حدود الجمال لا تنتهي..

- **الوعي**: هو أن تغتسل كل لحظة بالحب..
- **الوعي**: هو أن تعرف بأن أجمل الأشياء هو ما لم تره بعد.
- **الوعي**: هو أن تعرف بأن أعذب الكلام هو ما لم تسمعه بعد.
- **الوعي**: هو أن تكون أنت البيت وساكن البيت والضيف..
- **الوعي**: أن تعرف بأن العالم هو أكثر الناس معرفة بالجهل..
- **الوعي**: هو أن تظل بين الخوف والرجاء مع الخالق ﷻ تطمع في رحمته وكأنه لا توجد عقوبة.. وتخاف من غضبه - معاذ الله - وكأنك أعظم مذنب..
- **الوعي**: أن تعرف بأن لا شيء يدوم.
وإن دوام الحال من المحال.
- **والوعي**: هو أن تعلم بأنك كلما ازددت علماً ازددت جهلاً.
- **الوعي**: هو أن تكون في حالة سكر دائم من حب الله.
- **الوعي**: هو أن تفنى هياماً في قطرة الندى وزقزقة العصافير وخرير المياه.. وتظل في دهشة في كل حين منبهراً بما حولك من مخلوقات الله. اقرأ معي الآية الكريمة:

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ **[آل عمران ١٩١]**.

- **الوعي**: هو أن تكون متأرجحاً بين (الجمال) و(الجلال) تذوب في (الجمال) عشقاً وتفنى في (الجلال) رهبة.
- **الوعي**: هو أن تعرف بأنك ربما مت الآن.

- **الوعي**: هو أن لا تؤشر هذا شمال وهذا جنوب وهذا شرق وهذا غرب وهذا أعلى وهذا أسفل فحيثما التفت رأيت وجه الله سبحانه حيثما كان الاتجاه:
  ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة ١١٥].
- **الوعي**: هو أن تكون في يقين بأنك ميت حي وحي ميت.
- **الوعي**: هو أن تصفق لأبي يزيد البسطامي حينما سئل: بماذا نلت ما نلت؟ فقال: بلا شيء. بمعنى تركت الدنيا فنلت القرب والولاية[١].
- **الوعي**: أن يبقى سلك حبك ساخناً مع نبيك الكريم محمد ﷺ فهو أعظم البشر وشفيعنا يوم المحشر.
- **الوعي**: هو أن تعرف بأن العقل حائل أمام العشق وإن أعظم العشاق في التاريخ هم الذين ألغوا العقل[٢].
- **الوعي**: هو أن تضع ورداً على ثياب الحبيب، ثم تأخذ الورد وتمضي لأن الورد تطيب في تلك اللحظة.
- **الوعي**: هو أن تعلم يقيناً بأن كل ما تعلم ممكن أن يسحب منك بلحظة.
- **الوعي**: هو أن تتوقع بأن يقال لك في أي لحظة: احمل متاعك وشد أحمالك وارحل فقد انتهت الإقامة[٣].

---

(١) كتاب تهذيب خالصة الحقائق ونصاب غاية الدقائق - ص٢٩٥ لمحمود بن أحمد الفارابي - دار ابن حزم - بيروت - ٢٠٠٠م - المطبعة الأولى.

(٢) انظر كتاب: منطق الطير، فريد الدين العطار، دراسة وترجمة الدكتور بديع محمد جمعة. دار الأندلس للطباعة والنشر، ١٩٧٩، ص٩٨.

(٣) مأخوذة من مقطوعة حافظ الشيرازي التي أولها:

- **الوعي**: هو أن تغتسل بنور القمر وتأتزر بشعاع الشمس.
- **الوعي**: آه منك أيها الوعي.. كل ذلك وما زلت أحاول أن أتسلّق سور قصرك.

وتستطيع أن تكتب الآن ما شئت من تعريفات وأوصاف للوعي وعذراً إن أصابك الملل من ترديد الكلام.

= ألا يا أيها الساقي أدر كأساً وناولها
كه عشق آسان نمود أول ولي إفتاد مشكلها
... إلخ. والمقصود هنا هو أنك ستترك الحياة في أي لحظة. والبيت المقصود هو:
مراد منزل جانان جه أمن وعيش وجون مردم
جرس فرياد ميدارد كه بربنديد محملها
المعنى: كيف يحصل مرادي في هذه الحياة وكيف يتحقق الأمن والعيش، ففي أي لحظة يمكن أن يدق الجرس أن أحمل متاعك وأرحل. نقلت من ديوان خواجة حافظ الشيرازي، طبعة شيراز، ١٨٧١م، ص٢٧.

الفصل الثامن

الجدار المرمري

نعود بعد هذه التعريفات إلى بداية فصلنا عن الجدار الفاصل بين عالمي الغيب والشهادة. ونسمّيه مجازاً بالجدار المرمري. .

فعالم الشهادة من جهة. . وعالم الغيب من جهة أخرى. .

فكيف بفتح ثغرة في هذا الجدار. . ؟

من يستطيع أن يقوم بذلك. . ؟

وما هي الأسلحة والأدوات المستخدمة في ذلك؟

وقبل الخوض في الإجابة عن هذين السؤالين نقول: بأنه لا يمكن مطلقاً أن يعمل أي سلاح في خدش هذا (الجدار المرمري) إلّا بإذن وأمر الخالق سبحانه. .

فالدخول إلى عالم الغيب عبر (الجدار المرمري) والعودة منه بشيء ما هو من أمر الخالق وحده سبحانه وتعالى: فتقرّب إليه بالدعاء. . واشكره. . وسبّح باسمه. . واسجد له واقترب. . واعمل له ما يحب. . وتجنّب ما يجلب سخطه (معاذ الله). . واستمر في ملء قلبك بالحب والخشوع والإذلال لله ﷻ. . فوقود النفاذ من هذا الجدار المرمري هو الحب في القلب. . أحب الله ورسوله. . اقرأ القرآن

الكريم. . صل. . صم. . زكِّ نفسك ومالك. . وتقرب بالطاعات ما استطعت لذلك سبيلاً. . واستمر. . استمر. . استمر. . ولا تيأس. . واستمر بصدق وخضوع تام. . وسترى بعد زمن ما. . كيف أن الجدار المرمري السميك قد صار أقل سمكاً. . ثم أقل سمكاً. . ثم أقل سمكاً. . إلى أن يبقى غشاء رقيق وإذا لم يصبك الغرور لما وصلت إليه. . فإن الجدار قد ينفتح في لحظة ما وعلى أمر ما. . لتهنأ بجائزتك. . وستعطى شهادة إطلالتك على عالم الغيب. . ولهذا كان بعض العلماء يوصف بـ(ذو الجناحين). . جناح يحلّق به في عالم الشهادة وجناح يحلّق به في عالم الغيب. وقد يقال له علم الظاهر والباطن وقد يُسمّى بعلم الحال وعلم القال. وفي عالم الغيب لا (قبل) ولا (الآن) ولا (بعد). . وعالم الشهادة فيه (ماضي) و(حاضر) و(مستقبل).

ومع ولادة الإنسان يتداوله الزمن لحين إيصاله إلى الموت. وما الليل والنهار إلّا كمركبتين يتناوبهما الإنسان للوصول إلى لحظة الموت. اقرأ معي الحديث الشريف:

(الليل والنهار مطيتان فاركبوهما بلاغاً إلى الآخرة)

[رواه ابن عدي في الكامل وابن عساكر عن ابن عباس ﷺ][١].

وما من شيء إلّا وهو تحت قبضة عالم الغيب طوعاً أو كرهاً. وجميع المخلوقات تدرك وجودها بشكل أو بآخر وتتكلم وتعي ما حولها من أحداث حتى الحجر الصلد له وعي في عالم الغيب.

(١) حديث رقم ٧٧٥٥، الجامع الصغير.

اقرأ معي الحديث الشريف:

(إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث)

[رواه أحمد في مسنده ومسلم والترمذي][1].

لا بل أنه ﷺ اطلع على مخلوقات السموات السبع حين عرج به.
اقرأ معي الحديث الشريف:

(آدم في السماء الدنيا تعرض عليه أعمال ذريته. يوسف في السماء الثانية وابنا الخالة يحيى وعيسى في السماء الثالثة وادريس في السماء الرابعة وهارون في السماء الخامسة وموسى في السماء السادسة وإبراهيم في السماء السابعة)

[رواه ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري][2].

ونبينا الكريم تجاوز عالم الغيب بفضل من ربه ﷻ. فقد رأى ربه سبحانه بنص الحديث الشريف:

(رأيت ربي ﷻ)

[رواه أحمد في مسنده عن ابن عباس][3].

وقد سقت هذه الأحاديث الكريمة في هذا الفصل لإدراك أمرين مهمّين وهما: كرامة نبينا محمد ﷺ عند رب العالمين بما لم يكرم به غيره من الأنبياء.

وقد جاء في الحديث الشريف:

(قال لي جبريل: قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد رجلاً

---

(١) حديث رقم ٢٦٤٥، الجامع الصغير.
(٢) حديث رقم ٩، الجامع الصغير.
(٣) حديث رقم ٤٣٧٧، الجامع الصغير.

أفضل من محمد. وقلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد أفضل من بني هاشم)

[رواه الحاكم في الكنى وابن عساكر عن عائشة](١).

وثاني الأمرين هو كون الأنبياء قد اخترقوا مرّات ومرّات عالم الغيب بأمر من ربهم ﷻ.. ولكن كيف بأمة محمد ﷺ وقد انقطع الوحي منذ أكثر من ١٤٠٠ عام وللرد على هذه المفاتحة بالسؤال أقول: إن الله تبارك وتعالى يحب عبده وهو القائل في كتابه العزيز:

﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ **[الشورى ١٩]**.

وكلما تقرّب إليه العبد كان لطف الله به أكثر والعبد المؤمن له مكانة رفيعة عند الخالق ﷻ.

فقد جاء في الحديث القدسي الشريف:

(قال الله تعالى: عبدي المؤمن أحب إليّ من بعض ملائكتي)

[رواه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة ﷺ](٢).

والدعاء هي الوسيلة لرضا الله سبحانه بعد الفرائض والطاعات حيث جاء في الحديث القدسي الشريف:

(من لا يدعوني أغضب عليه)

[رواه العسكري في المواعظ عن أبي هريرة ﷺ](٣).

---

(١) حديث رقم ٦٠٧٤، الجامع الصغير.

(٢) حديث رقم ٦٠٦٢، الجامع الصغير.

(٣) حديث رقم ٦٠٦٩، الجامع الصغير.

ومن كل ما تقدّم نستنتج أموراً من الممكن تحديدها كما يلي:

١ • يوجد حاجز فاصل بين عالم الغيب والشهادة وسميناه مجازاً بـ (الجدار المرمري).

٢ • من هذا الحاجز فتحت أبواب وشبابيك ليطل منه النبي الكريم محمد ﷺ على ما كان وما سيكون. وكذلك الأنبياء والرسل وبعض عباد الله الصالحين.

٣ • يستطيع المؤمن من أمة محمد أن يكون قريباً من الله سبحانه بالالتزام بأوامره والنهي عن نواهيه وبحب الله والدعاء منه، وربما كرمه الله بذلك.

٤ • بالاستمرار في الطاعات وقراءة القرآن والذكر يقل سمك هذا الجدار المرمري. ومن الممكن أن يطلعك رب العالمين إذا شاء على شيء من أمور الغيب سواء مما مضى أو مما هو آت أو أن تتحكم في بعض الأمور وكل ذلك بعد أن يأذن الله سبحانه وتعالى. وسنورد هنا أمثلة على ما تقدّم ولكل حالة مثالاً واحداً:

أ) الإخبار عن الغيب عمّا مضى من الأمور:

من ذلك حديث العبد الصالح لسيدنا موسى عليه السلام:

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾﴾ [الكهف ٧٤].

وقد أجاب العبد الصالح النبي موسى عليه السلام عن سبب ذلك فقال:

﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾﴾ [الكهف ٨٠].

فهذا إخبار بالغيب عن سابق ما حدث. ولم يكن العبد الصالح نبيًّا ولا رسولاً بل أتاه الله رحمة من عنده سبحانه وعلماً:

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ [الكهف ٦٥].

هذا الفضل كان قبل بعثة النبي الكريم محمد ﷺ. فكيف بأمته إذا التزموا منهج القرآن والصراط المستقيم.

وفي هذا المثال نرى كيف أن الجدار الفاصل بين عالم الغيب والشهادة قد زال عن بعض الأمور لعبد من عباد الله بفضل الله سبحانه. وفي كامل قصة العبد الصالح عظة وعبرة.

ب) الإخبار عمّا هو آت:

في رؤيا فرعون حيث قال:

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [يوسف ٤٣].

هذه الرؤيا رآها فرعون وفيها إخبار بما هو آت كما فسّره سيدنا يوسف عليه السلام حيث قال:

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [يوسف ٤٧].

وفرعون هو الذي قال:

﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات ٢٣- ٢٤].

وفي هذه الحكاية دلالة على أن الرؤيا الصادقة تنزل على الرجل المؤمن وعلى الرجل الكافر. وكل ذلك بحكمة من الله سبحانه وأمر منه جل وعلا.

ج) التحكم في بعض الأمور:

فعن خيثمة قال: مُرّ على خالد بن الوليد ﷺ بزقٍّ من خمر، فقال: ما هذا..؟ قالوا: خمر. قال اللهم اجعله خلاً فإذا هو خل[(١)].

وكل ذلك بفضل من الله سبحانه وبإذن منه وبإرادته. وهو القائل في الحديث القدسي الريف:

(قال الله تعالى: إذا تقرب العبد إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً وإذا تقرب ذراعا تقربت منه باعاً وإذا أتاني مشيا أتيته هرولة).

[رواه البخاري عن أنس وأبي هريرة والبيهقي في شعب الإيمان عن سلمان][(٢)].

وقبل أن نختتم هذا الفصل لا بد من ذكر قصة سيدتنا مريم عليها السلام حيث كان بينها وبين عالم الغيب باباً تفتح كل يوم وتنزل منها مائدة فيها طعام كل يوم تأتي لها الملائكة بطعام إلى حجرتها ويخرج هذا الطعام من عالم الغيب ويخترق به الحجاب الفاصل بين العالمين لتدخله في عالم الشهادة فإذا به طعام شهي مما ألفناه.

اقرأ معي الآية الكريمة:

﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ **[آل عمران ٣٧]**.

---

(١) من كتاب تهذيب خالصة الحقائق ونصاب غاية الدقائق لمحمود بن أحمد الفاريابي المتوفى سنة ٦٠٧هـ الموافق لسنة ١٢١٠م، منشورات دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٠م، ص٣٩٩.

(٢) حديث صحيح برقم ٦٠٢٩، الجامع الصغير.

وكذلك جاء في الحديث الشريف:

(كان عمران يسمع تسليم الملائكة)[1].

وعمران هو والد سيدتنا مريم عليها السلام. حيث كانت الملائكة تسمعه سلامها بصوت واضح. وهذا اختراق لحجاب الغيب بالصوت. وقد يكون الاختراق بالصورة. وقد يكون بكليهما. وقد يكون بشيء مادي ملموس. ففي سورة المائدة نقرأ:

﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾

[المائدة ١١٢- ١١٥].

فسبحان الله المتصرّف في ملكه وجنوده وعباده.. هو ملك الملوك وخالق كل شيء.. سبحانه وتعالى.

---

(١) التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول، الشيخ منصور علي ناصف الحسيني الشافعي، ج٣، ص٢٠٢. من مفتاح التاج الجامع للأصول، ص٨٦، للملا طاهر عبدالله سليمان، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الفصل التاسع

الحواس الخمس وعالم الغيب والشهادة

لا علاقة إطلاقاً بين حواسنا الخمس وعالم الغيب. . لأن هذه الحواس خلقت للتعامل بها مع عالم الشهادة فقط. . وهذه الحواس: ستتغيّر يوم القيامة لتلائم عالم الغيب. .

وما تراه العين في عالم الشهادة يكاد يكون ١/ مليون مما هو موجود. .

وما تسمعه الأذن في عالم الشهادة يكاد يكون ١/ مليون مما هو موجود. . وهكذا بقية الحواس. .

ولكن: ما هو هذا الإحساس الدفين القوي المستمر بأمور موجودة خارج الحواس الخمسة؟

- الإحساس بالخطر. .
- توقع حدوث شيء ما. .
- الإرهاصات. . والتنبؤات. .
- الأحلام. . وما يتحقّق منها. .
- الخيالات. . ولا نهائيتها. .
- الهواجس. . وأوقاتها وأسبابها. .

- وأين يقع الفكر. . ؟
- وأين يستقر الإيمان. . ؟
- وأين يوجد الأمل. . ؟
- وأين تخرج ملايين المفردات في اللغات. . ؟
- وكيف تحفظ الذاكرة من صوت وصورة وإحساس. . ؟
- وقد يكون قول عالم مادي. . بأن كل ذلك في الدماغ. .
- نعم. . وسنسلم بهذا القول. .
- ولكن. .
- كيف يتم تحفيز هذا الخيال. . ؟ ليخرج ما يريد. .
- كيف نحلّق بخيالنا ونسافر. . ؟
- كيف نصل في جزء من مليون جزء من الثانية بخيالنا إلى أبعد بقعة. . ؟
- كيف نحضر صور وأصوات الموتى في خيالنا. . بل حتى روائح عطورهم التي كانوا يستخدمونها. . ؟
- كيف تولد فكرة جديدة. . اختراع أو اكتشاف. . ؟ هذا الدماغ متكوّن من (مادة) فقط. .
- فكيف تتحوّل إلى كل هذه الأمور. . ؟
- كيف نعرف الجمال. . ؟ وما أدرانا بأن هذا الشيء جميل وذاك قبيح. . ؟
- كيف نعرف ونحفظ طرقات المدينة. . ؟

- كيف نحرك أصابع أيدينا وأرجلنا ومفاصلنا جميعاً في آن واحد.. ربما حركنا مليون عضلة في جسمنا في آن واحد!
- كيف نميّز الألوان..؟
- كيف نعرف هذا العمود مستقيم ب(٩٠) في زاويته بدون الاستعانة بجهاز ما..؟
- كيف تطاوع اليد إرادتنا..
- كيف نرى مليون جزء من الصورة التي أمامنا بأعيننا..
- كيف يتم التنفس وضربات القلب وسريان الدم في الشرايين.. كيف تتجدّد وتنمو الخلايا..؟
- وكيف.. وكيف.. وكيف..؟ فنقول: إننا في عالم الشهادة سخرت لنا المواد جميعها.. فالدماغ يتألّف من مواد دهنية وفيها شعيرات لتغذية الدم و.. و.. و..

وكلها مواد كيمياوية أو فسلجية.. ولكن كيف تتحوّل هذه المادة إلى خيال وإبداع وحب.. وسمفونية وشعر وإيمان وعبادة؟

وكل تلك الأمور نبتت من المادة.. جاءت منه..

الفكر طاقة.. والخيال طاقة.. والإبداع طاقة.. وحل معادلات الرياضيات طاقة.. جميعها طاقات..

السير طاقة.. الركض طاقة.. العمل طاقة.. الكتابة طاقة..

جميع حاجاتنا وأعمالنا طاقة في طاقة.. وهذه الطاقة مخزونة.. ومدفونة.. وكامنة في المادة.. إذن نحن نحوّل المادة إلى فكر ومشاعر ولغة وكلام..

وهذه الطاقة لا نهائية.. وهناك الجديد منها دائماً.. إن لحظة تحوّل المادة إلى طاقة هي الحياة..

ومن المادة تخرج عوالم لا نهائية..

من المادة تخرج الإبداعات والفنون والاكتشافات والاختراعات..

كل الأشياء مخزونة في المادة..

من خرائط هندسية.. إلى آلات ميكانيكية.. إلى قصيدة شعر.. أو قطعة موسيقى..

هذه الأمور تستخرج من المادة وتتحوّل إلى طاقة..

ولو جئنا بقطعة حجر من رخام مكعبة الشكل مثلاً: ففي هذه القطعة الرخامية تختبئ مليارات الأشكال الهندسية والتماثيل.. وقد استطاع بعض عباقرة البشر من النحاتين أن يستخرجوا تماثيل بديعة حقًّا عملت بالمطرقة والإزميل(١).

هذا هو عمل البشر.. عمل الإنسان.. بني آدم..

وقد أودع الله سبحانه في الأشياء أسراراً لا تحصى.

لذا نجد أن كل مادة مهما صغرت تكمن فيها طاقة.. وإذا لم تكن فيها طاقة فهي ليست بمادة.. حتى الفوتون الواحد من الضوء فيها طاقة.. والطاقة هي القدرة.. هي القوة..

---

(١) للمزيد من المعلومات عن هذه التماثيل انظر كتاب (فنون عصر النهضة) ٢٠ جزء كبير للدكتور ثروت عكاشة، مطبوعات الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م.

والثابت العلمي يقول:

- المادة لا تفنى ولا تستحدث..
- وكذلك الطاقة لا تفنى ولا تستحدث..
- بل تتحوّل من حال إلى حال..
- فإذا ضاقت بها الدنيا بما رحبت.. مزقت حجاب الغيب وعادت إلى عالم الغيب مثل الروح..
- وإذا لم تعد إلى عالم الغيب ظلّت تسير في الفضاء إلى ما لا نهاية..
- والطاقة من قدرة الله سبحانه..
- أودعها في المادة..
- والكون كله طاقة بجميع أجرامه..

ولكنها من غير الممكن أن تبقى داخل المادة إذا حان موعد القيامة.. ويجب أن تعود إلى طاقة ليستوعبها عالم الغيب. فاقرأ معي الآيات الكريمة:

- ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم ٤٨].
- ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾﴾ [القمر ١].
- ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾﴾ [التكوير ١].
- ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾﴾ [الزلزلة ١ إلى ٥].

ويوم القيامة يأمر الله سبحانه وتعالى الأجسام والمواد بأن تخرج طاقاتها الكامنة فيها.. فتبدأ الحركة بمجرّد النفخ في الصور وصوت

(الصور) هو الذي يحرّك مكامن الطاقةفيها وتثير المواد بالتحرك.. بأمره جلت قدرته..

وكل شيء يتغيّر في كون جديد ونظام جديد.. وقوانين جديدة.. فماذا يحدث..؟

يأمر الله سبحانه وتعالى أرواح البشر التي تكمن فيها الطاقة لتعود إلى الأجساد التي فارقتها.. فتعود الطاقة إلى المادة التي كانت كامنة فيها.. ليخرج الكائن الحي من جديد.. أي تصرّف رهيب لا يملكه إلّا رب العالمين الخالق العظيم.. تصرّف بالطاقة والمادة.. يلغي الطاقة الموجودة الكامنة في الأجسام.. ويعيد الطاقة إلى أجساد البشر ليكونوا في حضرته للحساب.. وكلها في ملكوته سبحانه..

وهل من ملكوت سوى ملكوت الله سبحانه..؟

اقرأ معي:

- ﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس ٨٣].
- ﴿قُلْ مَنْۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ **[المؤمنون ٨٨].**

فليس في الجنّة التي هي في عالم الغيب شيء مما في دنيانا سوى الأسماء. فقد جاء في الحديث الشريف:

(ليس في الجنة شيء مما في الدنيا إلّا الأسماء)

[حديث صحيح رواه الضياء عن ابن عباس](١).

---

(١) حديث رقم ٧٦٣٣، الجامع الصغير.

فالحواس الخمس التي يستعين بها البشر في الحياة الدنيا هي المخصّصة للتعامل مع عالم الشهادة فقط. أما عالم الغيب فتلك مسألة أخرى. وحواس أخرى وقابلية أخرى وقوانين أخرى. ولتقريب ذلك إلى الأذهان نقول: إن كل آلات المواصلات من طائرات عملاقة وقطارات وسيارات وعجلات جميعها مفيدة في البر والجو.. ولكن هل تفيد تلك الآلات والأدوات في البحر..؟ كلا أبداً فجميعها لا تنفع وتتعطّل عن العمل.. ولا بد من وسائل أخرى للإبحار وقد تفيد خشبة طافية أكثر من جميع الطائرات والقطارات والعجلات. وكما أن الأدوات المستخدمة في البر والجو لا تعمل في البحر.. كذلك الحواس والأدوات المستخدمة في عالم الشهادة لا تنفع ولا تعمل في عالم الغيب. بل ستكون هناك حواس أخرى وقوانين أخرى. ولك أن ترجع إلى أوصاف حياة المؤمنين المتقين في الجنّة كما ورد في القرآن الكريم وتمرّ على الأحاديث النبوية الشريفة لتتضح لك الصورة أكثر.

الفصل العاشر

الأرقام وعالم الغيب والشهادة

سألني قارئ لمخطوطة كتابي هذا عن الزمن الصفر فقال بأنه توجد أرقام قبل الصفر وهي (-١) و(-٢)، إلخ. فأثار انتباهي عدم وضوح العبارة. لذا فقد خصّصت فصلاً خاصًّا عن الأرقام لأني رأيت ذلك أكثر من ضروري فأقول:

● ١ إن الرقم (١) هو أساس الأرقام كلها وما الرقم (٢) إلّا مضاعف الرقم (١) وهكذا إلى ما لا نهاية.

● ٢ قبل الرقم (١) يوجد صفر وما قبل الصفر تتوالى الأرقام ذاتها لكن بإشارة السالب وإلى ما لا نهاية.

● ٣ داخل الرقم (١) تتكدّس جميع الأرقام وإلى ما لا نهاية. وهي أرقام تعتبر أجزاء للواحد مثل (٠,١٦) أو (٠,٠٧٦٥)، إلخ.

● ٤ لكن الموضوع هنا هو (الصفر) الذي يوجد دائماً وأبداً قبل الرقم (١). فإذا أزاح الرقم (١) الصفر من مكانه لوجد صفر آخر مباشرة قبل الواحد. لذا يعتبر الصفر دائماً وأبداً ملازماً للرقم (١) وموجوداً قبله.

• ٥ ولكن السؤال الأكبر هو: هل الصفر قائم بذاته أم أنه تحصيل حاصل الرقم (١)؟ وبعبارة أخرى: إذا لم يكن هناك رقم (١) هل يوجد صفر؟

• ٦ الجواب بطبيعة الحال ودون عناء كبير: كلا لا يمكن أن يوجد صفر هكذا في الفراغ بل يلزم وجود الرقم (١) لكي يوجد أصلاً.

• ٧ وتستطيع أن تعتبر الصفر الذي قبل الرقم (١) هو العدم فكيف يمكن (للعدم) أن يكون (عدماً) إذا لم يكن هناك (وجود).

• ٨ الرقم (واحد) هو الخالق جل وعلا وهو الواحد الأحد. اقرأ معي:

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [سورة الإخلاص].

• ٩ لذا لا يمكن القول:

★ بأن الواحد خرج من العدم، وما قبل الواحد هو عدم فهذه عبارة خطأ تماماً.

★ كذلك لا يمكن القول بأن (العدم) صار (عدماً) بعد وجود الواحد، لأنه لا يمكن مطلقاً أن يحدث ذلك. . لأن الواحد كلما رجع القهقرى للزمن الخلفي كلما سبقه العدم لأنه ملازم معه. بل إن العدم يقوم في خيالنا بالوجود أو أن الصفر يقوم في حساباتنا بوجود الواحد.

★ لذا فمن البديهة البسيطة أن نستنتج بشكل منطقي غاية في السلامة لأنه لم يكن هناك عدم مطلقاً قبل الواحد. لأن هذا الواحد لم يوجد من فراغ أو عدم.

★ فالله الواحد الأحد أزلي إلى ما لا نهاية وأبدي إلى ما لا نهاية.

● ١٠ وليس للأرقام اتجاه واحد أو اتجاهين بل إنها تتجه إلى كل الجهات في اللحظة ذاتها فتأمل جيداً.

● ١١ وكما أن الأرقام تبدأ بالواحد لكي تستمر إلى غير نهاية مطلقاً. . فليس للأرقام نهاية أبداً أبداً. لا للأمام ولا للخلف مطلقاً، بل جميعها لا نهائية تماماً.

● ١٢ والأكثر عجباً من ذلك هو أن كل رقم يحتوي في داخله كل الأرقام التي يسعها الخيال. . لا بل أنه لو قلنا بأن هناك رقم كما يلي: (٠,٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠١) واكتب من الأصفار ما شئت. فإن هذا الواحد الضئيل الضئيل يحتوي أيضاً على جميع ما في الوجود من أرقام.

● ١٣ تأمّل يا أخي لعبة الأرقام وأسرارها وخفاياها. فقد علمت بأن (الواحد) هو أساس الوجود الرقمي اللانهائي في الكون والخيال والروح والنفس. وهذا الواحد موجود في كل مكان وزمان وبالحالة ذاتها وحيث إن الأرقام لا تتعب ولا تشيخ ولا تكبر ولا تنام ولا ولا. .

● ١٤ أرأيت كيف أن الرقم أخذك بالحيرة من أمره. . !!

● ١٥ كلا لا تتحيّر. فالخالق الواحد الأحد هو خالق كل شيء في الوجود مما تعلم ومما لا تعلم.

● ١٦ نعم الواحد يسع الكون كله. . بل يكاد أن لا يبين فيه. وما (الصفر) أو (العدم) سوى استنساخ سقيم لا يمكن أن يقوم له حجة أبداً.

● ١٧ والصفر هو الفاصلة بين السالب والموجب.

● ١٨ الصفر ليس بقيمة عددية محددة بل إنها تحتمل كل القيم لأن العدم يكون عدماً بعد تلاشي شيء ما ويحتمل أن يكون هذا التلاشي أي شيء أو أي قيمة عددية. ولتوضيح ذلك نضرب مثلاً رياضيًّا فنقول:

★ إن أي عدد مضروباً في صفر = صفر. فالصفر هنا هو نتيجة ضرب ذلك العدد. ففي هذا الصفر يكمن أصل الرقم المضروب فيه. فتصوّر وتخيّل.

★ إن حاصل قسمة أي عدد على صفر = صفر. فالصفر هنا هو نتيجة قسمة أي عدد على صفر. وهنا يكون هذا الصفر نتيجة قسمة ذلك الرقم بالضبط.

وهكذا تجد بأن الصفر يتحمّل جميع القيم العددية. ولهذا نستطيع أن نقول بأن القيمة العددية للصفر هو ما لا نهاية. وقد يكون صفر أكبر من صفر آخر أو أصغر منه. لكنه في كل الأحوال يخبئ في كامن سرّه كل القيم العددية. وهذه القيم العددية قد تمثّل أي شيء في الوجود.

● ١٩ فالعدم قائم بالوجود كما قلنا. كما أن الصفر قائم بالواحد لذا يعتبر العدم عرضاً والوجود جوهراً. كما أن الصفر يعتبر عرضاً والواحد جوهراً. وقد مرّ عليك تعريف العرض والجوهر.

● ٢٠ وهنا نصل إلى نتائج مدهشة حقًّا وهي:

★ إن العدم يساوي الوجود الذي كان قيامه به. أي انه هنا يتساوى الجوهر والعرض. لأن العرض هذا غير موجود أساساً إلّا

بوجود الجوهر. فما دام الجوهر موجوداً إذاً هنالك عرض. رغم أن كل ذلك أقوال فلسفية حصلت نتيجة تسلسل منطقي رياضي.

★ واستمراراً للنقطة أعلاه وتأكيداً قلنا إن الرقم (١) يحتوي على جميع القيم العددية وهي لا نهائية حتماً. وكذلك أثبتنا أن الصفر يحتوي على جميع القيم العددية وهي لا نهاية كذلك. وبذلك يكون العدم الذي أوجدناه في خيالنا نتيجة الوجود لائقاً بالوجود ذاته.

★ وإذا كان الخالق جل وعلا وهو الواحد الأحد الفرد الصمد الأول الآخر الظاهر الباطن. لم يكن هناك أي مجال للعدم حيث لا سابق لوجود الله سبحانه وتعالى. فهو سبحانه وتعالى أعطانا الفكر والعقل والخيال لنتصوّر العدم فقط لا لنجعله قبل الوجود. وإذا فعلنا ذلك لانهار كل أسس قيام الوجود. ولبحثنا عن المحدث الأول دون أن ينتهي ذلك أبداً. لكن الله الخالق القادر هو المحدث الموجود قبل الوجود ولم يسبقه أحد. وهذا هو غيب الغيوب. وما حديثنا هذا إلّا ما أنعم الله به على البشر بتنزيله القرآن الكريم وبعثته لنبيه الكريم محمد ﷺ وبما تكرّم على عباده ببعض العلم ليتقرّبوا به إلى الله سبحانه وتكون لهم خشية منه سبحانه وتعالى كما جاء في الذكر الحكيم:

﴿يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ [فاطر ٢٨].

★ ولو تصوّرنا وافترضنا عدم وجود الرقم (١) فإن نظام الكون كله سينهار.. وتنتهي العلوم.. وإذا لم يكن هناك رقم (١) لما

كان هناك من شيء.. لا (٢) ولا (٣) ولا ولا.. وإذا كثرت الأرقام ضاقت بها المجال فيكتبه علماء الرياضيات بالأسس كما يلي:

10^{3}، 10^{6}، 10^{24}، 10^{48}، 10^{64} إلخ.

فإلى أين..؟ إلى أين..؟ إلى ما لا نهاية.. وكل هذا من الرقم (١) الذي ليس له نهاية مطلقاً.. ومثل ذلك بالسالب الذي يفصل بينهما (الصفر).. والأرقام السالبة هي كالمرآة العاكسة للأرقام من الطرف الآخر. والخلق يبدأ من الرقم (١).. خلية واحدة ثم تتكاثر وتمرّ بالأرقام أعلاه.. وأنت تستطيع أن تحلّق في هذا العالم الذي فتحنا عليه فتحات فتأمل وفكّر واكتب ما يجول بخاطرك إذا شئت..

٢١● وفي ختام هذا الفصل أرى من الضروري جدًّا أن أقول بأن خوضي في البحث عن الأرقام وربطها بعلم المنطق والكلام كان من باب الإيمان واليقين. ولعلّه من المفيد أن أعرض على القارئ الكريم عدداً من الأحاديث القدسية الشريفة التي لها علاقة ما بموضوع فصلنا هذا[١].

★ فعن أنس بن مالك ﷺ عن رسول الله ﷺ قال:

قال الله ﷻ (إن أمتك لا يزالون يقولون ما كذا؟ ما كذا؟ حتى يقولوا هذا الله خلق الخلق فمن خلق الخالق)

[أخرجه مسلم في كتاب الايمان (حديث ٢١٧) وأحمد (ج٣ ص١٠٢)].

---

(١) كتاب الأحاديث القدسية الصحيحة، الشيخ زكريا عمارات، دار الكتب العلمية، بيروت.

★ وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

قال الله ﷻ (لا يزال عبدي يسأل عني، هذا الله خلقني فمن خلق الله)

[أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٦٤٦) والبخاري في كتاب الاعتصام باب ٣. ومسلم في كتاب الإيمان حديث (٢١٦) وكلاهما بمعناه من غير الحديث القدسي].

الشرح: من المستحسن بل من الأحوط لدين المسلم أن لا يخوض في التساؤل عن ذات الله فإنه لا تحيط به الفكرة ولكي لا يجره التساؤل هذا إلى عواقب وخيمة وأمور لا تحمد عقباها. بل عليه أن يكثر التفكر في خلق الله العجيب وفي صنعه البديع وفي آياته الباهرات، من خلق الأرض والسموات. وما ذرا في هذا الوجود من إنس وجن وملك ومما لا نعلم وإلى غير ذلك من الآيات البينات التي تزيد في إيمان المسلم وخشوعه لله سبحانه.

الفصل الحادي عشر

عالم الغيب والشهادة وآراء العلماء الأجانب

بدأً نقصد بالعلماء الأجانب، العلماء الغير المسلمين. ولقد أوردنا سابقاً مقولتهم الأخيرة المتّفق عليها عند جميعهم (بأن الكون وجد فجأة نتيجة لانتقال فجائي من وجود آخر) وقلنا بأن هذه الجملة تعتبر حدهم النهائي. ولا شك بأن ذلك يعتبر أمراً كبيراً لهم ويجعل مستواهم العلمي وشهاداتهم وأبحاثهم ونظرياتهم بهذا الاتجاه في مهب الريح. وهو إثبات على عجزهم مهما أوتوا من قوة وعبقرية، فلو جمعنا خلاصة عبقريات جميع عباقرة العلم ووضعناها أمام هذه العبارة لوقفوا عاجزين مستسلمين. . وسيبقون كذلك إلى أن يفتحوا كتاب الله العزيز ويؤمنوا به فيجدون فيه أبواب العلم والمعرفة والأخلاق والفضائل مفتوحة على مصراعيها. . ولوجدوا أن ما انتهوا إليه هو بداية العلم عندنا نحن المسلمين والحمد لله.

وبعدما وقفوا عاجزين أمام هذا الحد حاولوا الالتفاف إلى الجانب الروحي والميتافيزيقي فأخرجوا كتباً وكتب فيها أبحاث وأبحاث. . من التنويم المغناطيسي إلى جانب التخاطب بالأفكار (التلباث) إلى الباراسايكولوجي إلى ما سمّوه بـ(العالم الأثيري). لعلهم يجدون أجوبة من هنا أو هناك عن الوجود الآخر الذي وجد

منه الكون فجأة. وهيهات هيهات، فإن المرء لن يصل إلى المدينة إذا سلك الطريق الخطأ. . ولن يصلوا إلى نتيجةٍ أبداً إذا لم يأخذوا بناصية العلم من مدرسة القرآن الكريم. فبعد سلسلة كتب الباراسايكولوجي وتطعيمها بأساليب مشوقة وبأسلوب عرض مؤثر فلن يعثر القارئ لتلك الكتب على الأجوبة الشافية.

وكجملة إعراضية أقول بأن النبي الكريم محمد ﷺ قد بعثه الله بالحق وأنزل عليه كتاب الهدى والنور والعقيدة والدستور ليرتضي سبحانه بالإسلام ديناً إلى يوم القيامة. . ولن يقبل بدين غيره:

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران ٨٥].

الإسلام وضع المعاني للأشياء وأعطى للحياة والموجودات قيمتها وأزاح الستار عن الغوامض التي حيّرت البشرية قبل ذلك. وأعطى الجواب لملايين الأسئلة التي كانت ولا زالت تتوارد على فكر البشر. كذلك أعطى الإسلام قيمة للإنسان بعدما كان بلا قيمة يُباع ويشترى ويذبح ويهان. فكرّمه ونعَّمه وفسّر الطبيعة والكون والأشياء.

- فأصوات جميع الطيور تسبّح باسم ربها. .
- والأرض تدور بأمر ربها. .
- والنباتات تنمو بأمر ربها. .
- والجنين في بطن أمه مقدّر من الأزل. .
- والموت مفسّر تفسيراً واضحاً. .
- وما بعد الموت معروف كالعيان. .
- والقوانين التي تتحكم بالمجتمع مثالية تماماً لو طبّقت. وتصلح لكل زمان ومكان. .

- والغرائز البشرية يمكن السيطرة عليها وترويضها للخير لا للشر. .
- وكل شيء بقدر. .

ولا يمكن أن نعدّد جوانب الحياة والعلوم التي عالجها الإسلام بشكل نهائي وحاسم. . وكان لا بد أن يكون يكذلك لأنه آخر الرسالات السماوية، فلا بد من وجود الحلول لكل المعضلات. . ولا بد لوجود الجواب لكل الأسئلة التي تشغل بال البشر. . ولا بد من قانون ينظم العلاقات في المجتمع بعد أن حار الفلاسفة الأولون في إيجاد قانون له. فمن (جمهورية أفلاطون) إلى نظريات الفلاسفة في القرون الوسطى مروراً بنظريات ماركس ودعاة الرأسمالية وفائض القيمة ورأس المال والعلاقات بين الفلاح والإقطاعي وبين العمال ورب العمل والرئيس والمرؤوس والسيد والخادم والأخ والأب والعم والخال والصديق إلخ.

كل هذه الأمور وضعت لها أفضل الصيغ. بحيث يمكن أن نقول بأنه ليس في الإمكان أفضل مما كان. . حتى طريقة الأكل ونوع الثياب والتصرف وزيارة المريض والأعياد والمناسبات وأسلوب المخاطبات وجميع تلك التفاصيل التي وضع له الغرب كتباً سمّوها (بالاتيكيت) و(البروتوكول) وأساليب الجلوس والضيوف والوفود والرسائل والمخاطبات. . وجميعها موجودة في بطون الكتب التي كتبها العلماء المسلمون مستندين على سيرة وسلوك النبي الكريم (محمد) ﷺ والصحابة الكرام. . وفي كتاب (إحياء العلوم) للإمام الغزالي ما يغني عن شهادة عالية في أسلوب التعامل مع الحياة بدءًا من النهوض صباحاً ومروراً بالعمل والعلاقات والمأكل والمشرب إلى النوم والأدعية خلال كل ذلك.

هذا الإسلام العظيم وضع أسس الحياة الكريمة للبشرية.. وأسس العلوم كلها.. وإذا ما راجع صاحب أي اختصاص من العلوم، القرآن الكريم لوجد فيه مبتغاه بأوجز عبارة وأصدق تعبير..

لذا فسيذهب جهود العلماء الغير المسلمين الذين يبحثون عمّا وراء الوجود عبثاً وهباءً م منثوراً، لأنهم لا يصيبون الهدف أبداً مهما أبدعوا في الكلام. فأي قارئ لأي من كتبهم المتعلّقة بتلك الأمور لن يخرج بعد قراءته الكتاب بشيء جديد وسيعود أكثر جهلاً وغموضاً قبل قراءته. وقد دفعني لكتابة هذا الفصل واحدة من تلك الكتب وقعت في يدي بعد طبعي (١٠٠) نسخة من كتابي هذا ففضلت كتابة فصل عنه لأني رأيت فيه أموراً تتعلّق بعالم الغيب والشهادة.

هذا الكتاب اسمه (على حافة العالم الأثيري) لمؤلفه المدعو (ج آرثر فندلاي J. Arthur Findlay) مترجم للعربية من قبل أحمد فهمي أبو الخير - مطبوع في القاهرة سنة ١٩٤٥م وقد توالت طبعات أخرى له بعده. وظهرت طبعته الأولى في بريطانيا سنة ١٩٣١م. والمؤلف كان رئيس المعهد الدولي للبحث الروحي بلندن.

وقبل الخوض في محتويات الكتاب لا بد من القول بأن العالم المادي يعاني من الفراغ الروحي والجانب المعنوي.. فهو يحاول سد هذا النقص بمثل هذه المعاهد وبمثل هذه الكتب والدراسات.

تعريف بالكتاب: هو من الحجم المتوسط ويقع في (٢٠٠) صفحة. ألخّص ما فيه تلخيصاً شديداً فأقول:

● ١ الكاتب يسمّي عالم الشهادة بالعالم الفيزيقي ويسمّي عالم الغيب بالعالم الأثيري.

● ٢ يقول إن حواسنا محدودة سواء بالبصر أو السمع وهناك موجات أثيرية لا عدّ لها لا ندركها.

● ٣ يقول بأنه قد تحدّث مع أرواح الموتى. وأن كتّاباً راحلين مثل: (أوسكار وايلد) و(تشارلز ديكنز) و(كونراد) و(جيروم) قد بعثوا بشيء من نثرهم. بل أن بعضهم قد أكمل بعد انتقاله إلى عالم الروح مؤلفاً له لم يكن أتمّه قبل مماته.

● ٤ إن كل ذلك جرى بواسطة (وسيط).

● ٥ رسم مخططاً سمّاه (لوحة الكون الاهتزازية) رسم فيه (٤٠) مستطيلاً صغيراً واحداً فوق الآخر. وظلّل إحدى تلك المستطيلات وسمّاها بالعالم الفيزيقي وفوقه (١٥) مستطيلاً وتحته (٢٤) مستطيلاً فالذي فوقه سمّاه ما قبل فوق البنفسجية وما تحته سمّاه ما دون الأشعة الحمراء، وجميعها غير منظورة وغير مسموعة ما عدا مستطيل العالم الفيزيقي شرحه بأنه يشمل الموجات المنظورة. ويقابلها في مفهومنا (عالم الشهادة).

● ٦ في ص١٥٠ رسم سبعة دوائر واحدة داخل الأخرى والدائرة الداخلية هي الدائرة رقم (١) والذي يليه دائرة رقم (٢) وهكذا شرحها كما يلي:

أ) الدائرة رقم (١) تمثّل الأرض.

ب) أما الدائرة من (٢) إلى (٨) فتمثّل العوالم الأثيرية المختلفة ويقول بأن لكل دائرة موجة تردد خاصة بها.

ويعترف في آخر هذه الكلمات ليقول: أنه لا توجد في أحدث نظريات العلم الفيزيقي فجوة مفتوحة لكي يحل فيها العالم الأثيري

ويجب أن يمضي زمن قبل أن يضع العلم العالم الأثيري في المكان اللائق به.

وأعتذر للقارئ الكريم إذا أتعبته قليلاً وخرجت نوعاً ما من الموضوع الأساس.

وبالنسبة للكتاب لا أدري هل هم يتصوّرون القرّاء أغبياء أم أنهم كذلك.. فلا يمكن للأرواح أن تحضر لأحد، ومن المعلوم أن أرواح الأنبياء والأولياء والمتقين يمكن أن تذهب إلى رؤيا أحدهم. فالرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوّة كما جاء في الحديث النبوي الشريف[1].

والرسول الكريم ﷺ كان بعد أن يصلّي الصبح بصحابته الكرام كان يسأل أول ما يسأل عمّن رأى رؤيا ليقصها عليه ﷺ.

ثم إن المؤلف لم يذكر لنا ماذا بعد الدائرة الأثيرية السابعة. ولماذا لم يسأل الأرواح عن أمور أهم من ذلك بكثير، فالمفروض أن يتم السؤال عن أهم الأمور، ولماذا لم يسأل عمّا تؤول إليه الأمور.. وماذا يفيد لو قرأنا نثراً (لديكنز) أو غيره.. كل ذلك ضحك على الذقون وتسفيه للعقول. ولم يقل لنا المؤلف من هو المهيمن على عالمه الفيزيقي والأثيري وهل هما قائمان لوحدهما ومتى حدث ذلك وكيف سينتهي بهما الأمر وما العلاقة بينهما، فهذا هو نهاية علم علمائهم، ويقفون عند هذا الحد عاجزين مستسلمين، لكن القارئ المسلم يعرف من العلم أكثر من رئيس علماء غير

---

(١) كتاب الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير للإمام السيوطي، حديث رقم ٤٤٩٨، ص٢٧٥.

المسلمين فيما يتعلّق بمثل هذه الأمور.. والحمدلله رب العالمين الذي علمنا من لدنه علماً وهدانا إلى الصراط المستقيم. ولو كدسنا جميع كتب علمائهم فبلغت ملايين الصفحات بأقلام العلماء حملة الشهادات العالية فلن تعادل آية قرآنية واحدة ولو جاءوا بمثلها مدداً معاذ الله ونستغفر الله. ونورد آيات كريمات تكون أجوبة ساحقة عاصفة للظواهر الكونية وفي الحد الذي وقف عنده العلم. اقرأ معي الآيات الكونية التالية:

- ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ [يس ٣٨].
- ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس ٤٠].
- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [الحج ١٨].
- ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۗ﴾ [الزمر ٥].
- ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ [الأنعام ٣].
- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ﴾ [الرعد ٢].

أرأيت يا قارئي الكريم كيف أن العلماء من غير المسلمين يتخبّطون هنا وهناك تحيط بهم الشياطين والجن ليزدادوا في ضلالتهم ضلالة وليوحوا إليهم بكل ما هو قبيح. وقد نص القرآن الكريم على ذلك واقرأ معي:

﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [العنكبوت ٣٨].

وأقول لهم ويا ليتهم يسمعون أو يقرأون.. لا داعي بأن تضيعوا

عشرات السنوات من أعماركم المحدودة تائهين في الصحارى القاحلة. نحن نعلمكم كل شيء للحياة وللممات ولما بعد الممات. قولوا لا إله إلّا الله محمد رسول الله تنجوا وتفلحوا وتزدادوا علماً وبصيرة. . وعندما يقولون:

﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ﴾ [الكهف ٤٩].

عند ذلك فقط يخبرنا القرآن الكريم عمّا سيكون عليه الموقف:

﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء ٢٢٧].

وسيعلمون الحقيقة لكن بعد فوات الأون.

يقول الإمام الرازي ﷺ: لو كتب ألف صفحة لشرح كلمة (الحمد لله) ومعانيها وتفصيلاتها ومدلولاتها لما قضيت لهذه الكلمة حقّها.

بقي أن أقول بأن بعض علمائنا مغرمون بتتبع الاختراعات والاكتشافات والعلوم ليقولوا:

هذا هو العالم الفلاني قال كذا وكذا وهذا إثبات للقرآن الكريم. مثلاً: يقول العلماء بأن الشمس مستقرّة في مكانها وتدور حول نفسها فقط والكواكب تدور حولها. والآية الكريمة تقول:

﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ [يس ٣٨].

فيجعل من قول العلماء دليل إثبات لآيات القرآن الكريم. . ولكن ما لنا ولأقول العلماء. . أفإذا لم يقولوا ذلك كانت هذه الآية مشكوكاً فيها معاذ الله. .

وأنا أرى أن نقول العكس. والصحيح أن نقول: إن قول هذا العالم صحيح لورود ما قاله في القرآن الكريم.. وهكذا.. ثم إن العلوم من الممكن أن يثبت خطأها بعد زمن.. فماذا سنفعل؟ بعدما ربطنا صحة آية ما بنظرية معيّنة، ثم جاء عالم آخر بعد عقود من الزمن فأثبت بطلان تلك النظرية وكنا قد أجهدنا أنفسنا لإيجاد علاقة متينة بين تلك النظرية وبين آية قرآنية ما..

وهل سنظل نبذل الجهود للبحث عن مخترعات واكتشافات العلماء نستدل بها على معجزات القرآن الكريم الذي نزل بالحق، ليزيد إيماننا اعتماداً على قول فيلسوف أو اكتشاف عالم يؤيّد ما جاء فيه باكتشافه. والقرآن الكريم هو شريعة الله ودستوره للبشر أنزله على نبيه الكريم ورسوله الأمين محمد ﷺ ليكون منهج المسلمين في حياتهم.. هذا المنهج الذي يعتبر التوحيد أساس العقيدة الإسلامية. ومعه الشرع الذي شرعه الله سبحانه، وهذه الشريعة ملائمة كدستور عمل للبشرية في كل زمان ومكان.

ولا يفهم القارئ من هذا الكلام بعدم جدوى متابعة العلوم. أو إننا ندعو إلى ذلك. فإن طلب العلوم والسعي لاستحصالها واجب في الإسلام كما جاء ذلك في آيات وأحاديث نبوية كثيرة، ولكن يمكن الاستئناس بما وصل إليه العلم والتنبيه على احتمال احتواء القرآن الكريم على ذلك المعنى العلمي، لا الجزم بذلك، إن كانت النتيجة العلمية نظرية فقط، أما إذا وصلت النتيجة إلى حقيقة علمية لا تقبل التغيير فعند ذلك يمكن الاعتماد عليها والإشارة إليها في تفسير وفهم القرآن. وتحد أهل الأديان والأفكار غير الإسلامية بذلك. فالقرآن الكريم فيه علوم وأخبار الأولين والخلق والنشور والآخرة والحساب الذي سيكون لكل الناس يوم القيامة..

وهل كان إيمان وعقيدة السابقين من عهد الصحابة الكرام إلى عهد اكتشاف العلوم، بحاجة إلى مثل هذه الاكتشافات ليزدادوا إيمانًا بعد إيمانهم. . أم أن الإيمان راسخ في الصدور. .

ونحن نقول الحمدلله الذي هدانا إلى الإسلام وجعلنا من أمة نبيه محمد ﷺ وفضل علينا بالإنعام الإكرام. ونسأله تعالى أن يوفقنا لما يحب ويرضى ويسدّد خطانا على صراطه المستقيم ودينه القويم، وأن يجعل علمنا وإيماننا مقروناً بالعمل الذي يوازيه.

اللهم لا تؤاخذنا أن نسينا أو أخطأنا.

اللهم نجنا من غوائل الزمان وحوادث الدهر وتقلب الأيام.

اللهم لا تحملنا ما لا طاقة لنا به، وأعف عنا وأغفر لنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الظالمين.

آراء عدد من علماء الدين الأفاضل في هذا الكتاب

كان من الضروري عرض هذا الكتاب على عدد من علماء الدين الأفاضل ليتفحصوه ويبينوا ما فيه من ملاحظة. وقد استفدت من آرائهم وإشاراتهم. وإنني في الوقت الذي تشرفت بذلك فلا يسعني إلّا أن أقدم لهم جزيل شكري وامتناني على جهودهم وآرائهم داعياً الباري ﷻ أن يمد في أعمارهم ويبارك في علومهم وينفع به المسلمين.

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله عالم الغيب والشهادة والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

وبعد: فقد اطلعت على كتاب عالم الغيب والشهادة للأخ اللبيب عثمان بن رشاد المفتي فوجدت أن الموضوع الذي خاض فيه المؤلف شيء مفيد وإضافة جديدة لآفاق الثقافة الدينية والعلمية ويدل هذا الجهد على وفرة انتاجه وسعة إطلاعه ودقة ملاحظته وإن الكتاب كحديقة زاهية مشمولة الأزهار ينتقل الإنسان فيها من جميل إلى أجمل وهذا شأن هذا المؤلف نسأل الله أن ينتفع به في دينه ودنياه وجزى الله مؤلفه والذي عني بنشره وطبعه والعناية الراعية به ومقدريه جزاءً جزيلاً

ملا محمد الملا أحمد عقراوي

كوردستان / أربيل

١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م

رئيس إتحاد العلماء
لإقليم كوردستان

تقريظ الملا محمد الملا أحمد عقراوي

رئيس اتحاد العلماء

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى ابن أخينا الحبيب السيد ثامر المفتي المحترم

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ،

أما بعد فقد اطلع أكثر أعضاء هذه اللجنة على كتابكم الموسوم بـ(عالم الغيب والشهادة)

فاتضح أنه كتاب ممتع المطالعة مفيد ولاسيما في هذا العصر الذي يتطلع أهله إلى مثل هذه الأمور المغيبة ، حيث بذلتم في نظمه في هذا السلك جهوداً حميدة في تحقيقكم المشكور

ومعلوم أن وفرة الثمار ليست مستغربة من شجرة طيبة باسقة أورقت في دوحة العلم وأثمرت أكلاً في منبت الخير . كثّر الله من أمثالكم ونتمنى لكم مزيد التوفيق والتقدم

عبد الله سليمان

رئيس لجنة الفتوى في اربيل

تقريظ الملا عبدالله سليمان
رئيس لجنة الفتوى في أربيل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه
محمد وآله وصحبه أجمعين.
وبعد لقد قرئت علي هذه الرسالة الصغيرة المسماة
"عالم الغيب والشهادة" المحتوية على ستة فصول وبعدما
سمعت وأصغيت ألفاظها ومعانيها وتدبرت فيها وجدت
وإن كان حجمها صغيراً إيجازاً في ألفاظها وفوائد كثيرة في
معانيها ولطائف عجيبة، وكانت ألفاظها قوالب معانيها و ب
تجرها لا نفسها كما هو شأن البلاغة. وبالجملة كانت جديرة
بالتوقيع والتأييد وقلما يخلو كتاب عن عيب وإن كان للعلماء
الأفاضل. وكيف لا وكانت فصولها منطوية على بحوث و
لطائف قيمة صعبة على بعض ذوي الأفهام.
وحاصل ذلك صدق عليها قول الشاعر

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب

فما لي إلا أن أقول بارك الله فيها وفي مؤلفها الأخ الفاضل
السيد عثمان رشاد المفتي.

عضو لجنة الفتاوى الشرعية
ملا تاور شيخ محمد سكتاني
٢٦/٥/٢٠٠٢

تقريظ الملا تاور شيخ محمو سكتاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم اللهم صل على محمد نور الانوار، ومعدن سر الاسرار، ومفتاح باب الجنان، سيدنا محمد المختار، واله واصحابه الاخيار.

وبعد: فان التفكر والبحث في عالم الشهادة تزداد اليقين والايمان بالله تعالى في قلوب المؤمنين، وبمعرفة عالم الغيب تزداد الحب والشوق اليه تعالى في فؤاد العارفين بالله تعالى، ولقد سمى الله تعالى نفسه باسماء الحسنى واثنى على نفسه بالاوصاف الكاملة والافعال الحسنة للدلالة على عظمته تعالى ولأن نتخلق بها نحن المؤمنين، وتكون الخلافة المطلوبة من بني ادم للارض.

ولقد قرأت الرسالة المسماة (عالم الغيب والشهادة) للاستاذ الفاضل عثمان رشاد المفتي والتي تحتوي على مقدمة وتسعة فصول ثم فصل عاشر خاص من الارقام وعالم الغيب والشهادة وقد وجدت - وبفضل الله تعالى - اجاد الاستاذ في ذلك.

ثم ان الغوص في بحار عالم الغيب والشهادة تحتاج الى غواص ماهر مستعينا ومتوكلا على عالم الغيب والشهادة وقد وفق الاستاذ في ذلك الغوص واخرج بعض لؤلؤه المكنونا في صدفه.

ندعوا الله تعالى التوفيق له وان يبارك له في مسعاه وعلمه ويزداد تقواه وحبه لعالم الغيب والشهادة انه سميع قريب مجيب

وصلى الله على سيدنا ومولانا وشفيعنا محمد وعلى اله واصحابه.

عماد الدين فائز عبدالله
امام وخطيب جامع الشيخ مولى
٨ ربيع الثاني ١٤٢٤
٢٠٠٣/٦/٧

اربيل
جامع الشيخ محمد الجولي قدس سره

تقريظ الملا عماد الدين فائز عبدالله

المصادر والمراجع

١ ● القرآن الكريم

٢ ● المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة ١٩٨٦م.

٣ ● دليل الحيران في الكشف عن آيات القرآن، لجنة من العلماء، القاهرة ١٩٣٢م.

٤ ● فتح الرحمان لطالب آيات القرآن، علي زاده فيض الله، ١٩٠٢م.

٥ ● الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير - للإمام السيوطي - دار الكتب العلمية - بيروت.

٦ ● التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول - للشيخ منصور علي ناصيف الحسيني.

٧ ● مفتاح التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول - ترتيب وتنظيم الملا طاهر عبدالله سليمان البحركه يى.

٨ ● التيسير في شرح الجامع الصغير - للإمام المناوي - ٤ أجزاء - طبعة القاهرة ١٩١٢م.

٩ ● تهذيب خالصة الحقائق ونصاب غاية الدقائق - لمحمود أحمد الفاريابي - بيروت ٢٠٠٠م.

١٠ • مدارات صوفية - هادي العلوي - دار المدى - دمشق ١٩٩٧م.

١١ • المذاهب الصوفية ومدارسها - عبدالحكيم عبدالغني قاسم - مكتبة مدبولي - القاهرة ١٩٨٩م.

١٢ • ملامح كونية في القرآن - شاكر عبدالجبار - بغداد ١٩٨٥م.

١٣ • الكون والقرآن - علي حسن الحلي - مطبعة الجامعة - بغداد ١٩٨٥م.

١٤ • الرحيق المختوم - للشيخ صفي الرحمان المباركفوري - بيروت - دار الفكر ١٩٨٦م.

١٥ • مسرحية الاسكندر الأكبر - الدكتور مصطفى محمود - القاهرة ١٩٦٨م.

١٦ • على حافة العالم الأثيري - ج. آرثر فندلاي - القاهرة ١٩٣٨م.

١٧ • كليات سعدي - تحقيق حسين استاد ولي - طهران ١٣٧٩ - فارسية.

١٨ • بوستان سعدي - تحقيق حسين استاد ولي - طهران - ١٣٧٢ - فارسية.

١٩ • مثنوي جلال الدين الرومي - (٦) أجزاء للشيخ المولوي القاهرة - ١٢٨٢هـ - ١٨٦٥م.

٢٠ • الأحاديث القدسية الصحيحة - للشيخ زكريا عمارات - دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٩٦م.

٢١ • قاموس الأعلام - بيروت ١٩٨٧م.

٢٢ • ديوان ابن الفارض - مطبعة خان أبي طاقية - القاهرة ١٣٠٦هـ، ١٨٨٨م.

٢٣ • الإنسان والفضاء - مطبوعات مجلة (لايف) الأمريكية - بيروت - دار الترجمة.

٢٤ • الموسوعة الفلسفية المختصرة - نخبة من العلماء - مكتبة الأنكلو المصرية، القاهرة ١٩٦٣م.

٢٥ • شمس المعارف الكبرى - للشيخ أحمد بن علي البوني - المكتبة التجارية - مصر - طبعة قديمة.

٢٦ • ديوان حافظ الشيرازي - طبعة شيراز - سنة ١٢٨٨هـ- ١٨٧١م.

٢٧ • النظرية النسبية - بول كوديرك - ترجمة: مصطفى الرقي - منشورات عويدات - بيروت - ١٩٨٢.

٢٨ • فنون عصر النهضة - ٢٠ جزء - د. ثروة عكاشة - مطبوعات الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٨٧.

٢٩ • كتاب (فيه ما فيه) - أحاديث مولانا جلال الدين الرومي - ترجمه عن الفارسية - عيسى علي العاكوب - دار الفكر - دمشق، ٢٠٠٢م.

٣٠ • أطلس الفضاء، هيذر كوبر ونيجل هنبست - الطبعة الأولى - ترجمه إلى العربية أ.د. سيد رمضان هدارة، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩.

٣١ • تفسيري القرطبي - دار الكتب العربية - القاهرة ١٩٦٧م.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات



المؤلف في سطور

- ولد في قلعة أربيل عام ١٩٤٨م وتلقى علومه الدينية تحت رعاية والده وأكمل الدراسة الابتدائية والمتوسطة والثانوية في أربيل ثم حصل على شهادة البكالوريوس في العلوم العسكرية عام ١٩٧٠م في بغداد.
- مؤلف وباحث ومحقق ومترجم. ينحدر من أسرة المفتي العلمية الشهيرة(١) التي تولى علمائها جهة الأفتاء والمدرسة الدينية في الجامع الكبير في قلعة أربيل منذ حوالي خمسة قرون. ووالده كان قاضي أربيل ورئيس المجلس العلمي لمنطقة كوردستان لحين وفاته عام ١٩٩٢(٢).
- يعد من الوجوه الثقافية والعلمية والاجتماعية البارزة في مدينة أربيل عاصمة إقليم كوردستان - العراق.
- بعد وفاة والده العلامة رشاد المفتي(٣) خلفه في مجلسه اليومي الذي يضم مجموعة من العلماء والكتّاب والمثقفين والناشرين مواصلاً تقديم خدمات والده العلمية والثقافية والاجتماعية وادارة مكتبة الأسرة النادرة بمخطوطاتها ومطبوعاتها. حيث يرتادها أساتذة الجامعات وطلاب العلم ومختلف الشرائح الاجتماعية.
- مشرف على جامعهم في القلعة والذي تم تعميره وتجديده.
- صدر له (١٤) كتاباً تتناول في معظمها قضايا في التصوف والفلسفة والنقد والتحليل.
- بقية مؤلفاته مخطوطة وتربو على (٣٠) كتاباً ستأخذ طريقها إلى النور تباعاً.

(١) محمد علي الصويركي/ الموسوعة الكبرى لمشاهير الكرد عبر التاريخ ٧ أجزاء/ الدار العربية للموسوعات/ بيروت/ ٢٠١١م.

(٢) حميد المطبعي/ أعلام العراق في القرن العشرين/ ج٢، ص ١٤ و٨٣/ دار الشؤون الثقافية العامة/ بغداد/ ١٩٩٥.

(٣) زبير بلال اسماعيل/ علماء ومدارس في أربيل/ مطبعة وزارة الثقافة/ أربيل/ ١٩٧٨م عبد الكريم المدرس/ في خدمة الدين/ بغداد/ ١٩٨٢م.


ISBN 978-614-424-048-9